Al-kateb No. (155) February1994 – السنة الخامسة عشرة – العدد (١٥٥) شباط ١٩٩٤

للبنك التجاري الفلسطيني

البنك التجاري الفلسطيني المحدود
The Commercial Bank of Palestine Ltd.

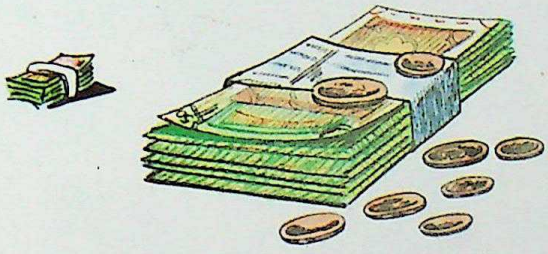

لنحقق معا ...
معجزة اقتصادية
فلسطينية ...

أكثر من ثمانية فروع ومكاتب يتوقع فتحها في العام الأول

دعامة قوية للاقتصاد الوطني

المقر المؤقت - رام الله - عمارة الشركة الوطنية العقارية - الشارع الرئيسي

تلفون وفاكس ٩٥٦١٤٦ ص.ب ١٧٩٩

شركة بوس

الكاتب

شهرية الثقافة والفنون والاداب

رئيس التحرير المسؤول
اسعد الاسعد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

هذا العدد

- حتى لا نقطع أصابعنا ندماً! أسعد الأسعد ٢
- الفلسطينيون قدموا التنازل التاريخي والآن دور اسرائيل للاعتراف بالواقع وتقديم التنازلات
د. ايلان بابيه، حوار: حسين سويطي ٤
- قائمة بأسماء شهداء جدد ٩
- انحراف الأحداث: تعريفه، عوامل الانحراف، طرق الوقاية والحماية. شعلان بحر ١٠
- من دراسة في أدب الأطفال في الأرض المحتلة (٦) فايز منصور ١٢
- قراءة في دايون: «بيان رقم غزة أريحا» حضور الرؤيا ... رؤيا الغياب- محمد مدحت أسعد ١٥
- محمد أيوب في روايته «الكف تناطح المخرز» حضور الشعار وغياب الفن. د. عادل الأسطة ١٧
- استهلاك الجنس في رواية حنا مينه «فوق الجبل وتحت الثلج» د. وائل أبو عرفه ٢٢
- صورة المرأة في رحلة ابن بطوطه، عظيمة عند شعوب ..
ومتهنه عند غيرهم د. اسمهان صيداوي ٢٥
- الأديب رشيد بوجودة: الفرنكفونية .. امبريالية ثقافية مغطرسة. مواد: بركسام رمضان ٢٩
- وعود الحرية والثروة تأفل مع تصاعد البطالة والجريمة والتسلل. جاد الحاج ٣١
- عمر الشريف: لو وجدت الحب لما لجأت الى القمار. عبد اللطيف خاطر ٢٤
- فيلم "منزل الأرواح" لبيلي أوغست: التقاطع بين رواية كتبتها امرأة
وفيلم أخرجه رجل. سلمان الخالد ٣٦
- قصص قصيرة: محمد عبد الله البيتاوي. فلورا اسطفان بقلة. هالة البكري ٣٨
- شعر: ست قصائد. غادة الشافعي. قصائد من لويس كاليفاري بوتري. حسان بورقية ٥٢
- استراحة العدد ٥٤

أول الكلام

تزدحم الاراضي الفلسطينية المحتلة، بالمؤتمرات والندوات التي يعقدها رجال اعمال بعضهم قدم من خارج الضفة والقطاع، سعيا وراء تحديد سمات المرحلة القادمة اقتصاديا، وسعيا الى ايجاد فرص للتنمية والاستثمار. غير ان الملفت للانتباه، ان بعض الجهات الداعية والمنظمة لهذه المؤتمرات ليس لها علاقة بالامر، سوى انها تبحث عن فرصة استثمار ليس اكثر. وبالتالي، فان النتائج المترتبة على هكذا مؤتمرات، لا تعدو الخطب والكلمات، ثم تعارف المستثمرين ورجال المال على بعضهم، وكفى الله المؤمنين القتال، دعوة نوجهها الى رجال الاعمال الفلسطينيين خاصة، بأن خير ما يبدأون به، اقامة مجلس وطني، او جمعية او ناد فلسطيني لرجال المال والاعمال، تنبثق عنه لجنة تنفيذية، تضطلع بمسؤوليات رسم الخطط التنموية وسبل الاستثمار، والانطلاق في عملية البناء، بدل الانشغال في لقاءات لا يختلف احدها عن الاخر، نحن بحاجة الى كل شيء، ومن كان لديه ما يقدمه فليبدأ بالعمل، نقول ذلك، بعد ان ضاقت مدن الضفة الغربية وقطاع غزة على طالبي المكاتب المحلية والوافدة، من افراد ومجموعات، دون ان نرى شيئا على الارض.

الكاتب

لوحة الغلاف : للفنان جمال الافغاني

سكرتير التحرير
قاسم منصور

المدير الاداري
عدنان الكاشف

العدد (١٥٥) شباط ١٩٩٤ - السنة الخامسة عشرة -
Al-kateb No. (155) February1994

الاشتراك السنوي بالدولار

	للافراد	للموءسسات
في البلاد	٢٥ دولار	٥٠ دولار
في الخارج	٥٠ دولار	١٥٠ دولار

المراسلات
القدس تلفون (٠٢-٩٥٢٨٩٠) ص.ب. ٢٠٤٨٩
Jerusalem, Tel: 02952890 P.O. Box 20489

الثمن ٥ شواقل

حتى لا نقطع أصابعنا ندماً!

أسعد الأسعد

ما جرى في دافوس بسويسرا ومن ثم في القاهرة من مباحثات بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ووفد عن الحكومة الاسرائيلية وما تمخضت عنها هذه المباحثات، يعيد إلى الأذهان مسلسل المباحثات والحوارات الطويل الذي بدأ في مدريد قبل أكثر من سنتين، غير أن الملفت للانتباه أن سمة المباحثات هذه -والتي عقدها الطرفان الإسرائيلي والفلسطيني للخروج من مأزق التفاوض الذي وصلت إليه مباحثات طابا مؤخراً- كانت مواصلة الطرف الاسرائيلي التمسك بمواقفه التي أعلن عنها قبل أكثر من سنتين وبالتالي، فان الطرف الفلسطيني حسب الفهم الاسرائيلي هو وحده الذي يملك مفتاح الحل والذي يكمن في الانصياع والتسليم للطرف الاسرائيلي بكل ما يطلبه وإلا فان اتفاق المباديء سيبقى معطلاً إلى أن يشاء الطرف الاسرائيلي.

ولعل ما ورد على لسان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من تأكيد على أن قيادة منظمة التحرير تسعى إلى إقامة كونفدرالية مع الاردن، وليس دولة فلسطينية مستقلة، وأن هدف الكونفدرالية ليس آنياً وإنما إلى الأبد، يعزز الجنوح إلى أخذ العبرة من المعطيات المطروحة على بساط المباحثات الآن، وعدم التحليق في فضاء الأحلام والتمنيات.

فالدول العربية وعلى رأسها الأردن وسوريا ومصر والسعودية ودول الخليج، تتفق مع الادارة الاميركية واسرائيل، على أن دولة فلسطينية مستقلة في المنطقة يجب ان لا تقوم بدعوى عدم توافر المقومات الأساسية لقيامها، رغم أن هذه الدعاوي لا تعبر عن حقيقة الأمر. بل إن رغبة الادارة الاميركية واسرائيل وموقفها الرافض لقيام مثل هذه الدولة في الشرق الأوسط هو اساس هذا الموقف، وذلك نابع من عدم الثقة بقدرة الأطراف المختلفة، السيطرة على الدولة الفلسطينية في المدى المنظور وبالتالي يجب الابقاء على الشعب الفلسطيني ضمن دائرة السيطرة لضمان عدم خروجه على الطاعة.

ويبدو أن القيادة الفلسطينية استوعبت أخيراً حدود المعقول واللامعقول في نضالها، واستسلمت لهذه المعطيات، وهذا تحديداً ما يفسره تأكيد الرئيس عرفات في ختام مباحثاته مع بيرس في دافوس، حيث أكد على اقتصار مطالبته بالكونفدرالية وليس الدولة المستقلة. وهذا تحديداً ما تبقى من سلسلة طويلة من الاهداف الاستراتيجية التي تم التنازل عنها واحداً تلو الآخر امام اصرار الطرف الاسرائيلي الذي يتمسك بمواقفه.

رغم أن وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس، وأعضاء الحكومة الإسرائيلية وبضمنهم رئيس الوزراء اسحق رابين، يدركون تماماً أن أي حكم ذاتي يحمل في اساسه مفهوم الدولة المستقلة ويجب أن يؤدي في نهاية المطاف إلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره سواء بدولة مستقلة أو باتحاد كونفدرالي مع الأردن.

غير أن ما جرى ويجري منذ التوقيع على اتفاق المباديء في الثالث عشر من أيلول الماضي يشير إلى أن الوقت لم يكن ناضجاً للتوقيع على اتفاق كهذا، قبل التمهيد لذلك بوضع أسس واضحة لماهية الاتفاق، لضمان عدم الدخول في متاهات كالتي نحن بصددها الآن، فالاتفاق بنصوصه التي تم التوقيع عليها، يحتاج إلى جولات طويلة من المباحثات للاتفاق على كل جملة وردت فيه، ومع كل قراءة لبنوده يزداد المرء

قناعة بأن الاتفاق الذي طبق حسب الفهم الاسرائيلي يعتبر كارثة، بل واسوأ ما عرض على الشعب الفلسطيني من خيارات منذ بداية الصراع الإسرائيلي - العربي.

أما وقد جرى ما جرى، فان الاستمرار في انتهاج نفس الاسلوب في معالجة الأمور سوف يؤدي بالضرورة إلى الوقوع في شرك التفاصيل عند مناقشة كل قضية، ولذا فان اعلاناً واضحاً من كلا الطرفين يوضح فهمهما للمباديء التي تم التوقيع عليها، أصبح أمراً ملحاً خصوصاً وأن ما يجري الآن ليس أكثر من مسلسل للضغط والابتزاز سوف يؤدي في النهاية الى تقزيم الأمر إلى ما دون الصفر، وتحويل الضفة الغربية وقطاع غزة إلى ما يشبه الشريط الحدودي في جنوب لبنان، والذي يسميه البعض دولة لبنان الجنوبي، أو لبنان الحر، حيث يمتلك اللبنانيون في هذا الشريط، علماً، وجيشاً ومؤسسات تشرف على المجاري والصحة والتربية والتعليم ولهم نشيدهم الوطني أيضاً، إضافة إلى إذاعة خاصة وتلفزيون غير أنهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، في ظل تواجد جيش الدفاع الإسرائيلي في كل ناحية من أرض الجنوب اللبناني.

ومع أن أحداً لا يمكنه قبول هذا النموذج، إلا أن الجانب الاسرائيلي باصراره على التمسك بالمعابر والحدود القائمة الآن يدفع باتجاه الوصول إلى نموذج الشريط الحدودي. رغم أن قضية المعابر التي تثار الآن ليست لب القضية وجوهرها اذ ان هذه المعابر كانت مع اسرائيل طوال سبع وعشرين سنة مضت فلا ضير إن بقيت ثلاث سنوات أو حتى خمس سنوات أخرى إذا كانت الامور واضحة، بحيث يتم التوقيع على إنهاء التواجد العسكري والمدني في الاراضي المحتلة وتسليم السلطة فيها للفلسطينيين في نهاية المرحلة الانتقالية. وبرأيي أن الاتفاق على إنهاء وجود المستوطنات أهم بكثير من قضية المعابر مثلاً، وما يجب توضيحه قبل كل شيء، أين نحن ذاهبون، وما هو شكل الأراضي المحتلة ومضمون السلطة الوطنية في نهاية الأمر، فان كان الأمر سيتعلق بانهاء الحكم العسكري والادارة المدنية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة، وتحويل مرجعية السلطة الوطنية إلى الحكومة الإسرائيلية، مع الابقاء على الحدود كما هي عليه الآن، فأن هذا الأمر بحد ذاته كارثة. إذ إننا نكون بذلك، رفعنا بأيدينا صفة الاحتلال عن الاراضي الفلسطينية المحتلة شكلياً، بينما هي في الواقع باقية بثوب آخر وبموافقتنا ونكون بذلك أكدنا ما ورد في نصوص اتفاق المباديء من أن الاعتراف الذي تم التوقيع عليه، كان اعتراف القيادة الفلسطينية -م.ت.ف.- بحق اسرائيل مقابل اعتراف اسرائيل ممثلة بحكومتها بمنظمة التحرير الفلسطينية وليس بحق الشعب الفلسطيني وهذا تحديداً ما يجب مطالبة الاسرائيليين بتوضيحه والتأكيد عليه.

ولعل ما يجري الكشف عنه يوماً بعد يوم، يضعنا أمام تساؤلات كثيرة، فالحديث عن سلطة وطنية حتى في غزة وأريحا، بعيد جداً عن الصيغ المتفائلة التي تضعها القيادة الفلسطينية أمامنا، على سبيل المثال، قضية المعتقلين، عودة النازحين، ماهية السلطة الوطنية، وحتى لا يبدو الامر على غير ما هو، أشير هنا إلى ما يتم الكشف عنه تباعاً من خفايا المباحثات التي تتم في طابا وغيرها، فالحديث عن عودة مئات آلاف النازحين مثلاً، ليس له اساس من الصحة وان كان هناك ما يجري الحديث عنه فهو لا يتعدى آلافاً محدودة وعشرات آلاف رجال الشرطة، يجري الحديث الآن عن ثلاثة آلاف، على أن يمنحوا إقامة مؤقتة، لمدة ستة شهور، ولا يحق لأحد منهم البقاء بصفة دائمة في المنطقة، والحديث هنا يشمل غزة وأريحا وهناك أمور كثيرة أخرى، نفاجأ بها بعد كل جولة من المفاوضات.

تساؤلات كثيرة تطرح في الشارع الفلسطيني اليوم، وهو يرى الامور تسير باتجاه بعيد عن الحد الأدنى من آماله التي قدم لأجلها الكثير من التضحيات، وهناك ما يبرر للمتسائلين ما يطرحونه، وذلك أن اقتصار المعرفة على نفر محدود واستمرار طرح الصيغ المتفائلة في وقت نرى الوقائع على الأرض مختلفة تماماً، من شأنه أن يوسع الهوة بين القيادة والجمهور الفلسطيني، كما أن استمرار روح التفرد ومحدودية اصحاب القرار ومرجعيته، من شأنه أن يعمق الهوة ويلغي اي انسجام في التوجه نحو تضافر الجهود لمنع وقوع كارثة قومية ووطنية، ولا شك في أن سياسة الامعان في تجاهل الاصوات المطالبة بتغيير النهج القائم من شأنها ان تضعف الموقف العام.

من هنا، فأن الأمر يتطلب أيضاً من المعارضين للاتفاق إعادة النظر في موقفهم، ولا أعني بالضرورة موافقتهم على الاتفاق، بل أعني تحديداً عدم تحويل معارضتهم إلى الانسلاخ عن واقع ووقائع الأمر، وإلا تحولت المعارضة إلى معارضة سلبية مفرطة، لا حول لها ولا قوة، ولست في معرض "التنظير" للمعارضة، بل من باب الحرص على الاستمرار في قيامها بدورها في مرحلة من أحرج وأدق مراحل نضالنا الوطني. من اجل ان لا نجد أنفسنا نخوض حرباً "دونكشوتية" يدفع شعبنا ثمنها غالياً، ثم نقطع أصابعنا ندماً حيث لا ينفع الندم.

الكاتب

د. ايلان بابيه

الفلسطينيون قدموا التنازل التاريخي والآن دور اسرائيل للاعتراف بالواقع وتقديم التنازلات

حاوره: حسين سويطي

لا بد من مقدمة

يظل الثالث عشر من ايلول العام ١٩٩٣، نقطة الضوء الاولى في النفق المظلم من تاريخ الصراع في المنطقة وفسحة الامل للشعبين الفلسطيني والاسرائيلي على درب الالام الطويلة في مسيرتهما. وليس من الانصاف بمكان، التطرق الى تلخيص احداث العام الماضي، دون الوقوف طويلاً، امام هذا الحدث التاريخي والهام.

ولسبر اغوار المرحلة الحالية، ليس من وجهة نظر السياسي المتحيز الى هذا الطرف او ذاك، بل من وجهة نظر المؤرخ الذي يربط الامور بتفاعلاتها وارهاصاتها، التقينا الدكتور ايلان بابيه مدرس التاريخ في جامعة حيفا، والمختص بتاريخ منطقة الشرق الاوسط والصراع العربي الاسرائيلي.

وبداية اود الاشارة الى ان هذا اللقاء لم يكتسب طابع اللقاء الصحفي، بل اكتسى برداء الحوار التاريخي بين صحفي يحاول قدر الامكان ان يكون موضوعياً وبعيداً عن الالتزام الدقيق بالموقف السياسي المسبق، وبين مؤرخ ملتزم بخط سياسي ولكنه يعالج الامور من منطلقات تاريخية متمسكاً بالناجز منها للربط بين الواقع والحقائق الموضوعية المجردة.

ولذلك كان لا بد من مقدمة.

× **«الاتحاد»: بنظرة المؤرخ، هل تعتبر اتفاق اعلان المبادىء، نقطة التحول التاريخية في الصراع واهم احداث العام المنصرم ام ان الاحداث الاخيرة وعدم التقدم نحو تنفيذ الاتفاق جعلاً منه مجرد مراسم ومصافحة بين عرفات ورابين؟**

- د. بابيه: ما من شك ان «اعلان اتفاق المبادىء» يعتبر نقطة تحول، وبالاساس لانه ادى الى الاعتراف المتبادل. ولكننا لا نعرف حتى الان ما اذا كانت هذه الخطوة بداية النهاية اي هل ستكون الخطوة الاولى نحو الحل الحقيقي للصراع في المنطقة وللقضية الفلسطينية ام لا؟ وهنا يجب اخذ بعض النقاط بعين الاعتبار:

اولاً: ان هذا الاعلان لا يؤمن كافة الحقوق الفلسطينية. وهو ليس كافياً من هذه الناحية. وحتى يكون الاتفاق جيداً او كافياً يجب ان يأخذ بعين الاعتبار حسابات الطرفين ومصالحهما ويعكس تطلعاتهما. ومن الممكن، ويجب ان يؤدي هذا الاعلان

فيما بعد الى تنازل اسرائيل مثلما تنازل الجانب الفلسطيني في المرحلة الاولى. وعندها فقط، بنظرة الى الوراء يمكن اعتبار اتفاق اوسلو اتفاقاً تاريخياً او خطوة تاريخية. وقد اشرت الى هذه النقطة سابقاً وايضاً فعلت سكرتارية الجبهة في تقويمها لهذا الحدث.

صحيح اننا ايدنا الاتفاق، وهذا طبيعي، ولكن هناك بعض المركبات الاشكالية في الموضوع التي تؤدي الى الشكوك فيما اذا كان هذا الاتفاق كافياً كخطوة اولى ام لا.

ثانياً: القضية المركزية - المشكلة - في الاتفاق، ان الطرفين قررا ترك الامور الصعبة للبحث والبت في مرحلة قادمة. المفاوضات ليست قضايا امنية، بل هي قومية من الدرجة الاولى. فمثلاً قضية المعابر، وجود قوات فلسطينية على المعابر لا يشكل اي خطر او تهديد امني لاسرائيل بل هي موقف من السيادة القومية والوجود القومي. والنقاش هو على السيادة. عرفات لا يريد ان يقوم بايقافه على المعابر اي جندي اسرائيلي. ليست القضية شخصية بالنسبة لعرفات او قيادة م.ت.ف فمن الممكن ايجاد ترتيبات لعدم تفتيشهم ولكن المواطن الفلسطيني العادي الذي يريد الدخول الى مناطق الحكم الذاتي يجب الا يواجهه اي جندي اسرائيلي او اي مظهر يدل على ان الاحتلال لا يزال قائماً او تم استبداله باحتلال اخف حدة. ولذلك القضية سيادة

الفلسطيني وصل الى قناعة بانه ليس بالامكان انجاز الحل عن طريق الانتفاضة والزام اسرائيل بالانسحاب، ومن ناحية اخرى اسرائيل استنتجت انه ليس بالامكان القضاء على الانتفاضة وقهر الشعب الفلسطيني وجعله يستسلم لما تريد، يضاف الى ذلك ان مشروع مدريد سقط عملياً ولم يبق سوى ان يعترف الجانبان بانهما اضعف من الاستمرار في المواجهة وعليه اتفق الطرفان على «اتفاق ضعفاء» يقر كل طرف فيه بضعفه وضرورة واحترام رغبة الاخر؟.

- د. بابيه: اتفاق ضعفاء؟، نعم، يمكن القول ذلك. لكني اميل الى تقسيم آخر. اتفاق

قضية المعابر ليست مشكلة امنية بالمرة، بل قضية سيادة قومية

وهذه هي الاساس في المشكلة (قضايا اللاجئين، القدس، المستوطنات وغيرها) فاسرائيل ارادت ذلك من منطلق «لنرى كيف تتصرف م.ت.ف» والفلسطينيون برأيي لم يكن امامهم بديل سوى المضي في طريق اوسلو، ولعدة اسباب، فهم خضعوا للمطالب والاملاءات الاسرائيلية على امل ان ينجح هذا الاتفاق في رسم وطن المستقبل. ولكني اشك في ذلك على ضوء اننا ندخل عام ٩٤ ونحن نواصل البحث في غزة واريحا فقط وكأنه لا توجد قضايا اخرى.

× **«الاتحاد»: هذا يدفعنا الى التطرق للقضايا العالقة وللمفاوضات الجارية الان في القاهرة لتذليلها فهل ستتمسك اسرائيل بالحجة الامنية مضحية بكل ما انجز من جسر الهوة ولو نفسياً على الاقل:**

- د. بابيه: القضايا العالقة الان في قومية وليست امنية والتهديد الامني لاسرائيل ليس بعدد الجنود او القوات. وقالها رابين مؤخراً اكثر من مرة ان الفلسطينيين لا يشكلون تهديداً على وجود اسرائيل وامنها .. لذلك، باعتقادي انهم أخطأوا في اوسلو عندما اجلوا بحث الاوضاع الاساسية لخمس سنوات. وهذا يدفع الى الاستنتاج بان العامل النفسي قد تحطم ولا اساس له الان. والهوة القائمة هي بين الفهم الاسرائيلي الرسمي لمستقبل التعايش وبين الفهم الفلسطيني. فلا يمكن التقدم نحو السلام والابقاء على تعايش الحصان وسائسه او راكبه. بل بتعايش الشعوب المتساوية.

× **«الاتحاد»: على ضوء الجاري على الارض، ومن منطلق ما تم التوصل اليه. اميل الى الاعتقاد انه سلام الضعفاء. فمن ناحية الطرف**

طرفين احدهما قوي والاخر ضعيف. القوي (اسرائيل) لم يرد، ان يستمر الوضع القائم كما هو. رابين لم يتغير لكنه وصل الى استنتاج هام واساسي وهو انه لا يستطيع الاستمرار اكثر في الوضع الحالي. ولذلك قرر الاقدام على خطوة الاتفاق مع م.ت.ف فمن ناحية الاستمرار في موقفه الرسمي، لا انسحاب ولا ضم واستمرار الانتفاضة، وتأزم الوضع الاسرائيلي والاقتصاد غير الصحي وما يسميه ب «الامن الشخصي» للسكان اكدنا ان اسرائيل الدولة لم تكن في خطر، بل السكان عاشوا في جو من عدم الراحة والقلق وهذا الوضع لم يتغير اضافة الى الوضع الذي امتازت به اسرائيل في العالم، العزلة والاستنكار على ممارساتها، كل هذا ادى الى التهديد والضغط على رابين لاتخاذ خطوته.

في الجانب الاخر، الطرف الضعيف،

الفلسطينيون رأوا خطراً في الفشل لان ذلك سيؤدي الى تدهور الاوضاع. ولذلك ربطوا الامل بالمرحلة الاولى، تنازلوا عن الكثير واسرائيل لم تتنازل، لذلك فعلى اسرائيل ان تتنازل في نهاية المطاف. واعتقد انهم اتفقوا على شيء معين في اوسلو بحيث اننا لم نعرف سوى عن الاتفاق المعلن الذي نشر في وسائل الاعلام، ربما كان هناك شيء سري اتفقوا عليه وهو تنازل اسرائيل في المرحلة القادمة.

واذا نجح هذا التصور فان الجانبين بنظري قد اقرا منذ البداية بهذه المعادلة ففي الجانب الفلسطيني بدأ التحول منذ سنة ٨٢ بعد حرب لبنان بان الحل هو سلمي، والامر اخذ عشر سنوات حتى توصل الجانب الاسرائيلي الى هذا الفهم.

× «الاتحاد»: اذاً، هناك مغامرة فلسطينية بالقبول باتفاق اوسلو؟.

- د. بابيه: امل عرفات هو ان الوقت يقوم بتأدية فعله. والجيل القادم سيصل الى حل كامل وعادل للمشكلة، الحقيقية. ولكن ماذا سيكون ان خاب امله هذا؟! هذا الموقف، المغامرة في تغيير الوضع القائم، ربما يتحسن الوضع ونصل الى حل للازمة وربما الفشل، يحمل في طياته اخطاراً كبيرة. وفي حالة الفشل فالعودة لن تكون الى نقطة البدء بل الى وضع متدهور ولا احد يستطيع تصوره. وهناك من يحاول ان يدخل الوهم الى ذهن الجمهور الاسرائيلي، بانه اذا لم ينجح الاتفاق فبالامكان العودة الى ما كان عليه، اي العودة الى احتلال المناطق الفلسطينية من جديد. هذا الكلام هو وهم وصلف يجب وقفه.

× «الاتحاد»: وفي اطار هذا الوهم تدخل المشكلات العالقة الان في مسار تنفيذ الاتفاق؟.

- د. بابيه: العقبات التي تعترض تنفيذ الاتفاق متعددة. وهي مرتبطة بطبيعة اعلان المبادىء وضبابيته. ولكن هناك بنظري عقبات من نوع آخر وأخرى مرتبطة بالوهم الذي تحدثنا عنه. فعرفات يطالب بمطالب غير مذكورة في الاعلان. على اساس انه في اوسلو وعدوه باكثر مما يطرحون اليوم على الطاولة. قد يكون صادقاً. وربما لا. ولكني اميل الى الافتراض بان على اسرائيل ان تقبل بموقف عرفات وهذا افضل للمستقبل.

من ناحية ثانية اسرائيل تظهر على حق في تمسكها بما اعلن عنه. وهي تطالب بتطبيق ما نشر (عرفات يطلب اكثر مما نشر) ولكن القضية ان عرفات يكون مخطئاً وغير مخلص اذا لم يطالب بالمطالب التي يطرحها ويتمسك بها. ولنفرض جدلاً انهم في اوسلو لم يقدموا له وعودا اخرى. فهذا

ايضاً خطأ ان يعدوه بالقليل.

ومن ناحية اسرائيل، شعبيا، ليس هناك ما يطلبه الشعب وينتظره بفارغ الصبر اكثر من خروج اخر جندي اسرائيلي من غزة واريحا. ولو بدأ الانسحاب ولو رمزيا. وكان خطأ كبيراً عدم انسحاب اسرائيل حتى من قاعدة عسكرية على شاطىء غزة. ولو تم الانسحاب لكان هذا الامر اعطى لعرفات ولمنظمة التحرير دعماً سياسياً ومعنوياً على الساحة الفلسطينية. فمن المؤسف انه حتى الان لم تظهر اي مظاهر او علامات تدل على نية اسرائيل بالانسحاب، وبنفس الوقت حكومة اسرائيل تقول انها لا تريد ان يفشل الاتفاق. فحتى اطلاق سراح الاسرى لم يكن بالمستوى الذي يجب ان يدعم الاتفاق. وهناك شعور سيء بان اسرائيل تلعب مع الفلسطينيين او تضحك عليهم.

اما العقبات الميدانية فهي تتلخص في قضية المعابر. من يحكم على المعابر والحدود. مشكلة المساحة التي يجب الانسحاب منها اعتقد ان هناك حلا لها يمكن ان يرضي الطرفين بحيث تنسحب اسرائيل من بقعة اوسع مما تطرحه واقل مما يطلبه الفلسطينيون. ولكن الحدود، واؤكد ذلك ثانية، ليست قضية امنية بل قومية. يجب ان يشعر الفلسطيني الداخل الى منطقة غزة او اريحا انه يدخل منطقة فلسطينية وهذا الامر لا يضر بالاتفاق كما تعتقد حكومة اسرائيل بل على العكس يدعمه. فان تراجع الفلسطينيون فستكون مصيبة بالنسبة للمنظمة وعرفات وهذا سيعتبر انتصاراً لموقف المعارضين في الشارع الفلسطيني ويضر بالاتفاق. وعلى اسرائيل ان تتراجع ولتحسبها بادرة حسن نية ان شاءت.

× «الاتحاد»: وماذا بشأن المستوطنات؟

- د. بابيه: هناك خطة انسحاب اسرائيلية. ولكني لست متأكداً مرة اخرى من ان اسرائيل امينة ومخلصة لما وقعت عليه في اوسلو. ففي مباحثات طابا قدم الجانب الاسرائيلي خارطة توضح تواجداً عسكرياً اسرائيلياً مكثفاً حول المستوطنات، وهذا يناقض الشعور والمفهوم بان اسرائيل سوف تنسحب أو تترك قطاع غزة لأن ما طرح على الطاولة هو اعادة انتشار للجيش وليس انسحاباً وهذا يتعارض مع ما يقبله الفلسطينيون وما يجب ان يكون.

× «الاتحاد»: كمؤرخ، وبنظرة الى الوراء، كيف كنت تعقد المقارنة بين ما طرح في كامب ديفيد ورفضه الفلسطينيون، وما هو مطروح اليوم ويقبله الفلسطينيون؟

- د. بابيه: أميل عادة إلى عدم اجراء مقارنات. ولكن في هذا الموضوع يجب اجراء مقارنة خاصة في ظل ما هو مطروح اليوم. ففي كامب ديفيد قدم للفلسطينيين أكثر ولكن في تلك الفترة كانت هناك شروط وظروف اخرى جعلت الفلسطينيين، يعارضون كامب ديفيد، واعتمد الفلسطينيون في رفضهم على ميزان القوى العالمي، آنذاك.

ولكن القاء نظرة على ما كان يدل ان الحكم الذاتي (حسب كامب ديفيد) كان تحت الحكم الاردني والاسرائيلي المشترك. ويضمن عدم تحول هذه البقعة الى دولة مستقلة.

× «الاتحاد»: اي انهم قدموا على الورق اكثر، بينما في الواقع على الارض لا شيء؟

- د.بابيه: هذا صحيح واليوم يطرحون اقل ولكن الواقع المحلي الاسرائيلي، والعربي، والفلسطيني والعالمي ايضاً يعطي الامل بالوصول الى الدولة التي يريدها الفلسطينيون. وهو امل اكبر من اقتراحات كامب ديفيد سنة ٧٩ وربما كان من الخطأ لو وافق الفلسطينيون على كامب ديفيد. لذلك انا اتفهم موقفهم من كامب ديفيد ورفضهم له.

× «الاتحاد»: وهنا يجب التأكيد برأيي ان كامب ديفيد كان اتفاقاً ناجزا، بينما، اتفاق اوسلو هو اعلان مبادىء وليس اتفاقاً.

- د. بابيه: وعليه يجب اجراء المقارنة بين كامب ديفيد وبين ما يتم انجازه من اتفاق على اساس اوسلو . وليس مع اعلان المبادىء.

× «الاتحاد»: على ضوء ما يجري من انفلات اليمين والمعارضة داخل اسرائيل وعدم تمكن قوى اليسار من التحرك لصد اليمين، كيف ترى دور هذا اليسار وقوى السلام خاصة في هذه المرحلة.

- د. بابيه: ان اليسار الاسرائيلي برأيي مخطىء حتى الان. واليسار يجب ان ينظر له ليس فقط في الجانب السياسي.

اليسار الحقيقي يجب ان يبحث ايضاً في ان هذا الحل المطروح الان لن يحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطيني. حتى لو اقيمت هناك سلطة وطنية مع اموال من كل العالم. فبدون حل مشاكل الفقراء، والمخيمات فان هذا الحل لا

*** كان من الخطأ ابقاء القضايا المركزية الى فترة السنوات الخمس القادمة**

امل له. لان هناك مزرعة ودفيئة لنمو القوى المعارضة، هي مراكز الفقر والمخيمات.

وكان على اليسار الاسرائيلي ان ينظر الى هذه القضية ويأخذها بالحسبان. وهذا الموقف سمعناه لدى زيارتنا الى تونس من ممثلي حزب الشعب الفلسطيني ايضاً. القضية الاساس هو المستقبل الاجتماعي

ولكني اود ان واضح امراً اعتقد انه هام فمن خلال متابعتي لمسيرة المقاومة الفلسطينية ودراسة تاريخ هذا الشعب، اعتقد ان هناك دائماً بدائل كانت لديه. ومن يتصور مثلاً انه لا بديل ل م.ت.ف مع سلطة وطنية مقلصة في بعض المناطق، ومستوطنات تحيط بها من كل جانب بدون حل القضايا الاساسية - من يعتقد ذلك - مخطىء لا

- د. بابيه: كلاهما معاً. وهذا مرتبط بما تقوم به اسرائيل. فاذا كانت حكومة اسرائيل غير نادمة على ما قامت به حتى الان من مسيرة الاعتراف بـ م.ت.ف والتفاوض معها، واذا كانت تعي انها ستحل ليس فقط مشكلة عام ٦٧ بل مشكلة عام ٤٨، وتشير باتجاه مصالحة تاريخية مع الشعب الفلسطيني (وهذه الـ «اذا» مرتبطة

* لا يمكن التقدم نحو السلام بتعايش الحصان وسائسه بل بتعايش الشعوب المتساوية

وليس من يكون رئيساً لبلدية اريحا او غزة. وهذا الامر يستطيع ان يدركه فقط من يتحلى بنظرة اشتراكية او ماركسية لتحليل الوضع. وليس «سلام الان».

اما «اليسار الصهيوني» فكان دائماً يسير وراء الامريكان والبنتاغون بشكل خاص وليس قبلهم. خذ مثالاً على ذلك «سلام الان» هي قوة لدعم رابين دون التطرق الى ما سيكون عليه الوضع النهائي. لذلك يسيرون مع رابين. وعندما تتعثر المفاوضات يتوقفون للانتظار.

واليسار الحقيقي هو الذي يربط الجانب الاقتصادي الاجتماعي بالجانب السياسي. وهذا اليسار يدرك ان هناك مشكلة حقيقية وهو غير مقتنع بالاهداف التي يطرحها رابين فقط. فرابين يريد الاتفاق دون حل المشاكل و «سلام الان» تقبل كل ما يطرحه رابين «سلام الضعفاء» كما تقول او سلام «اللابديل».

× **«الاتحاد»: ولكن هناك بديل، وهو طرح الامور بحجمها والبدء بحلها؟**

- د. بابيه: هناك من يعتقد انه لا بديل.

يفهم ما يجري على الارض. وفي هذه الحالة ستقوم م.ت.ف اخرى غير ما نراها اليوم. وتاريخ المقاومة الفلسطينية يدل بوضوح انه دائماً كانت هناك خطوط حمراء. واذا كان الوضع (المعاش) افضل ولكن دون الامل القومي، فان الشعب الفلسطيني سيعود الى المقاومة وبشكل عنيف ولا احد يدري كيف ستكون هذه المقاومة. الشعب الفلسطيني لا يتحدث عن خنوع وخضوع واستسلام، وهو لا يقبل بذلك. الشعب الفلسطيني يتحدث عن مستقبل وعن دولة ولو مرحلياً.

× **«الاتحاد»: وهل هذا الامر - دولة مرحلية - لمستموه لدى القيادة الفلسطينية في تونس؟**

- د. بابيه: القيادة الفلسطينية حسمت امرها. وتريد دولة. وفقط دولة. ولكنها مستعدة ان تصل الى ذلك مرحلياً. والقادة الفلسطينيون الذين التقيتهم يريدون التأكد فقط، ان ما يجري يصل الى دولة. واذا لم يصل فلا امل بالحل.

× **«الاتحاد»: على ضوء ما تقول هل انت متفائل ام متشائم؟.**

اكثر برابين وليس ببيرس او بيوسي بيلين) فان سنة ٩٤ فعلاً ستكون سنة السلام وافضل سنة في تاريخ الشعبين.

اما اذا واصلت حكومة اسرائيل السير في نفس الطريق من التسويف والتردد وعدم التنازل، ولو بشكل رمزي امام التنازل التاريخي الذي قدمه الفلسطينيون، فالفشل سيكون من نصيب كل المسيرة وستكون سنة ٩٤ اسوأ سنة في تاريخ الصراع.

ومرة اخرى يجب ان نؤكد ان الامر متوقف على ما تقوم به حكومة اسرائيل، وليس ما تقوم به م.ت.ف فكل ما تقوم به اسرائيل هو المقرر. ومن الناحية الفلسطينية حُسم الامر ويقبلون بتقسيم البلاد لدولتين، ويوسي بيلين يفهم ذلك جيداً. والمشكلة ان من يقرر الامور يجب ان يفهم اننا مقدمون ليس على الافتراضات وانتظار ما ستتطور اليه الامور، بل على وقائع تاريخية ناجزة.

عن "الاتحاد"

قائمة بأسماء شهداء جدد

في الوقت الذي ما تزال المفاوضات الجارية بين م.ت.ف وحكومة اسرائيل للبدء في تطبيق اعلان المبادىء، تراوح مكانها، لا يزال الشعب الفلسطيني يقدم المزيد من التضحيات في سبيل تحرره واستقلاله.

وخلال الشهر الماضي سقط (١٦) شهيداً، وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة إلى (١٤٧٠) شهيداً وفيما يلي قائمة بأسماء الشهداء الجدد

الجمعة ١٩٩٣/١٢/٢٣م

- نهاد ابراهيم كامل أبو حجلة (١٦ عاماً) قرية دير استيا/نابلس استشهد متأثراً بجراحه التى أصيب بها في القرية قبل سنتين حيث أصيب بأربعة أعيرة نارية.

الاثنين ١٩٩٤/١/٣م

- عباس خضر الصعيدي (١٨ عاماً) مخيم الشاطيء/قطاع غزة استشهد بطلقات الوحدات الخاصة.
- فريد الشعراوي (١٧ عاماً) مخيم الشاطيء/قطاع غزة في اشتباكات مع الجيش.
- فضل ابراهيم ريحان (١٧ عاماً) جباليا/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري خلال المواجهات.

مشاكل التحرير

الأربعاء ١٩٩٤/١/٥م

- اياد عبد الكريم الحناوي (٢٠ عاماً) مخيم جباليا/قطاع غزة. برصاص الجيش.

الخميس ١٩٩٤/١/٦

- عماد عبد الوهاب كلاب (٢٠ عاماً) غزة. استشهد في القدس بعد طعنه لأحد الجنود بالسكين.

الجمعة ١٩٩٤/١/١٤م

- يوسف محمد عنتر إسليم (٢١ عاماً) غزة. قام بطعن أحد المستوطنين عند حاجز ايرز وأطلق النار على آخر.
- أمجد سليم عبد الرحيم شبانة (٢٠ عاماً) الخليل.
- فريد حميدان الجعبة (٢٢ عاماً) الخليل.
- أمجد فؤاد عبد السميع أبو خلف (٢٠ عاماً) الخليل.
- محمد صالح شريف صالح كميل (٢٢ عاماً) قباطياً/جنين. (استشهد أربعتهم في اشتباك مسلح قرب الكلية الاسلامية في الخليل.

الاربعاء ١٩٩٤/١/١٩م

- محمد حسام عبد الرزاق سلمان فنون (٢٠ عاماً) الخليل. استشهد في مستشفى هداسا عين كارم، بعد أن أصيب أمس برصاصة في رأسه خلال المواجهات.
- أيوب محمد صالح القاق (١٥ عاماً) قرية مزارع النوباني/رام الله. أصيب برصاص الجيش في صدره.

الاحد ١٩٩٤/١/٣٠

- هشام روبين محمد السقا (٢٢ عاماً) مخيم عسكر الجديد/ نابلس، استشهد نتيجة انفجار وقع في أحد المنازل في المخيم.

الخميس ١٩٩٤/٢/٣

- سليم مصباح حسن موافي (٢٤ عاماً) رفح/ قطاع غزة. استشهد خلال تبادل لاطلاق النار مع قوة عسكرية من الوحدات الخاصة، حيث كان الشهيد قائداً لصقور فتح في رفح.

الجمعة ١٩٩٤/٢/٤

- عدنان الصوري (٢٤ عاما) مخيم جباليا/ قطاع غزة. استشهد برصاص الجيش.
- خيري عبد الجبار يوسف عبدالله (٢٤ عاماً) قرية بلعا/ طولكرم. أطلق الجيش النار عليه وهو يقود سيارته بحجة عدم التوقف.

واسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالاً للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا وأهل الشهداء بخالص العزاء.

انحراف الاحداث

تعريفه، عوامل الانحراف، طرق الوقاية والحماية

شعلان بحر

تعريف الحدث:-

حدث في نظر القانون (الصغير) الذي لم يبلغ سن الرشد بعد وقد حددها بين سن التاسعة وحتى الثامنة عشرة وان اختلفت هذه السن من دولة لأخرى.

تعريف الحدث من وجهة نظر العلوم الاجتماعية والنفسية

انه الصغير الذي لم يكتمل نضجه اجتماعياً ونفسياً ولم تتكامل عناصر الرشد.

تعريف الانحراف

لغوياً: تعنى كلمة إنحراف الخروج عن الطريق المألوف.

قانونيا: انه حالة خطيرة تتوافر في الحدث كلما أظهر ميولاً مضادة للمجتمع لدرجة خطيرة تجعله او يمكن ان تجعله موضوعاً لاجراء رسمي.

وذلك القانون وضع ليحمي مصلحة الجماعة من المعتدين عليها وعلى صحة افرادها وسمعتهم وشرفهم.

وجهة نظر علم النفس في الانحراف:-

عرض من اعراض عدم التكيف، ويقوم على عدم التوافق او الصراع النفسي بين الفرد ونفسه وبين والفرد والجماعة.

وجهة نظر علم الاجتماع في الانحراف سلوك لا اجتماعي مخالف لما ينتظره المجتمع وما تنص عليه قوانينه، ومن هذا التعريف تبدو مشكلة الاختلاف عليه ظاهرة بين العلماء في المجتمعات المختلفة. المنحرف في أحدى المجتمعات قد يبدو سويا في مجتمع آخر وذلك لاختلاف عادات وتقاليد وقيم المجتمعات عن بعضها البعض.

عوامل الانحراف

ان الانحراف شكل من اشكال سوء التكيف وانه في الأصل تعبير عن اضطراب داخلي يعاني منه الحدث، ان الانحراف لا يكون وليد الساعة ولا يعود لسبب واحد بل هناك سلسلة عوامل تتسع حلقاتها في بعض الحالات وتضيق في حالات اخرى.

وعوامل الانحراف كثيرة وواسعة فهناك اتجاهان يتفق عليهما العلماء في تفسير عوامل الانحراف.

الاتجاه الاول: وهو الاتجاه البيولوجي والنفسي حيث يبرر هذا الاتجاه وجود العلة داخل الفرد نفسه.

الاتجاه الثاني: فهو الاتجاه الاجتماعي الذي يضع العلة في البيئه المادية والاجتماعية.

وقد يكون هناك اتجاه تكاملي آخر يجد العلة في المجال الذي يتحرك فيه الفرد نفسه باعتباره جزءاً من هذا المجال الحي المتفاعل.

واستطيع ان أسرد عوامل الأنحراف بشكل مختصر مؤكداً على انه نتاج تجربتنا في العمل في هذا الميدان.

١- عوامل شخصيه: العوامل التي تخص الحدث نفسه سواء كانت عوامل فسيولوجية او اضطرابات نفسية، أو امراض عقلية لكن حسب تجربتنا في العمل في دار الامل والملاحظة/رام الله هنالك القليل من حالات الانحراف التي تكون دوافعها لضعف عقلي عند الحدث وقليلا ما ترد الى دار الامل والملاحظة حالات انحراف مردها الى الامراض الجسمية او العاهات او بسبب عوامل وراثية، يتفق غالبية العلماء على ان العوامل الوراثية تأثيرها بسيط جداً على الانحراف واكثر ما نستطيع تقريره بالنسبة للعوامل الشخصية هو الصراع النفسي، قد تكون اكثر حالات الانحراف تعاني من اضطرابات انفعالية وصراع نفسي حيث يجد المنحرف نفسه يحاول التخلص مما يشعر به من قلق وتوتر فلا يجد الا الخروج عن هذه القواعد.

٢- العوامل البيئية

أ- الاسره: فهي أول جماعة يتعامل معها الحدث ولها اكبر الأثر عليه، ان انشغال الأهل عن ابنهم، والحب الزائد، وضعف الرقابة الأسرية والعلاقات بين الوالدين وشخصيتهما لكل ذلك التأثير الكبير على الانحراف حيث ان التفكك الاسري يوجد الفرصة الكفيلة لدفع الاحداث للانحراف. كذلك انحراف احد الوالدين يؤثر بالضرورة على انحراف الاحداث الابناء وخلافات الاب والام تؤدي الى تفريغ ما يكبته الحدث اتجاههما في انماط سلوكية منحرفة حيث يؤدي انشغالهما في الخلافات الى نبذ الابناء وأهمالهم وشعورهم بالحرمان العاطفي مهما يؤدي بهم بالضرورة للانحراف.

ب- العوامل الاقتصادية:- ان الحالة الاقتصادية للاسرة من اهم العوامل في انحراف الاحداث فالفقر يؤدي الى الحرمان من حاجات البدن كالملبس والمأكل ويؤدي الى سوء الاحوال السكنية وبالتالي يؤدي ذلك الى التفكك العائلي والعجز عن مسايرة الجماعة. غالبية الابحاث دلت على ان حالات الانحراف تأتي من المناطق المزدحمة سكنياً، ولا ننسى ان الفقر يؤدي إلى تشغيل الاحداث في سن مبكره مما يؤدي الى هروبهم من العمل، وتشردهم في الشوراع وتمردهم على اسرهم.

ج- العوامل المدرسية ان سوء العلاقه بين التلميذ ومعلمه، وسوء العلاقه بينه وبين زملاء له وعلاقته بمواد الدراسة كل ذلك قد يؤدي الى انحراف الاحداث فاسلوب المعلم له تأثير كبير على نفسية الحدث فقد يؤدي ذلك الى هروب الحدث من المدرسة، كذلك ان المنهاج الجامد الصعب قد يؤدي الى الهروب من المدرسه وبالتالي التسكع في الشوراع حيث يسهل عليهم الانحراف.

د- الصحبة السيئة: قد يشعر الحدث بالخضوع والانتماء والولاء لجماعة صداقته حيث ينزلق الحدث بسهولة في الطريق الانحرافي المضاد للمجتمع.

هـ- وسائل التسليه والاعلام: اذا لم تكن وسائل التسلية مرتكزة على اسس سليمة فانها تؤثر سلبياً على الاحداث.

الوقاية والحماية من الانحراف

والوقاية هنا تعني وقاية جميع الاحداث سواء كانوا اسوياء او منحرفين من الخطر العام الذي يتعرضون له حيث تتخذ هنا بعض الاجراءات مثل منع ارتياد اماكن معينة وعدم السماح بتداول كتب معينة العمل على قضاء اوقاتهم بشكل صحيح، وتعنى بالجماعه حمايتهم من الخطر الخاص الذي ينبعث من ظروف ومؤثرات معينه كالفقر، وفقدان احد الأبوين، التفكك الأسري. ان الحماية والوقاية من عناصر الرعاية الهادفة لتنمية قوة المقاومة لدى الحدث والحد من الاستجابة للمؤثرات الضارة. وهناك بعض برامج الرعاية تركز على الهام منها.

١- البرامج التي تواجه العوامل الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة، لذا فتغير هذه العوامل الى الافضل ورفع مستوى المعيشة وعلاج الاسرة هام جداً.

٢- برامج يكون لها تأثير على النشاط الانحرافي بشكل غير مباشر. هذه البرامج يجب ان تكون نابعة من الهيئات الاهلية والجمعيات الخيرية وجميع تشكيلات المجتمع بنشاطات بقصد الاصلاحات التي تتناول مشاكل وقت الفراغ، الاسكان، التعليم، التوجيه والارشاد، فالمجتمع مجتمعنا والاحداث أولادنا، ولو ركزت الجمعيات الخيرية بشكل مركز ومبرمج حول هذه الظاهرة لأدت الى نتائج مثمرة.

٣- برامج بهدف الايواء للاحداث المشردين واعادة بناء شخصياتهم وتنمية قدراتهم وتأهليهم ويكون ذلك من خلال المؤسسات الاجتماعية وفتح مراكز تأهيل الشبيبة لتكون هذه المؤسسات علاجيه بالدرجه الاولى وتهدف لاحداث تغيير نحو الافضل في شخصية الحدث.

من دراسة في أدب الأطفال في الأرض المحتلة (٦)

جذور أدب الأطفال في الأرض المحتلة وروافده *

فايز منصور - كلية العلوم التربوية / الأزوا

٠١ الجذور

تعتبر بدايات أدب الأطفال في فلسطين جزءاً هاماً من تراثنا الأدبي الوطني، فهي تجربة غنية وأصيلة في الكتابة للطفل.

قبل النكبة

وتعود بدايات هذه التجربة الكتابية إلى أوائل هذا القرن، وبخاصة الفترة الممتدة من ١٩٠٨ إلى نهاية الحرب العظمى الأولى، إذ شهدت هذه الفترة ظهور بدايات الحركات السياسية التي تحمل بذور الاستقلال الوطني عن الاحتلال التركي، وكان الشعر من أبرز الوسائل التي حملت هذه البذور، ومن الشعر كانت الأناشيد وبخاصة الأناشيد الوطنية التي أخذ الشعراء يولونها بعض عنايتهم.

ودواعي ظهور الأناشيد غير تزايد الوعي الوطني كثيرة، لعل أبرزها: انتشار النوادي، والجمعيات والاحتفالات، والمدارس الابتدائية التي وجد فيها معلمو اللغة العربية أنفسهم بحاجة إلى الأناشيد ليحفظها التلاميذ وليلقوها في أول النهار مجتمعين أو ليلقوها في المناسبات (١).

وكان رائد هذه الأناشيد الأستاذ المربي خليل السكاكيني. وقد حذا حذوه عدد من الشعراء أمثال الشاعر اسكندر الخوري البيتجالي وابراهيم البوارشي وإسعاف النشاشيبي، والشيخ سعيد الكرمي والشيخ إراهيم الدّباغ واليعقوبي وابراهيم طوقان وأبى سلمى. ولعل أول من صدر له ديوان في الاناشيد الأستاذ المرحوم إسعاف النشاشيبي بعنوان (البستان) وقد نشرته مطبعة المعارف بمصر عام ١٩٢٧. أما أول من صدر له ديوان في الأناشيد في فلسطين هو الشاعر إبراهيم البوارشي، وذلك في العام ١٩٢٨ بالقدس، وقد كان بعنوان «مجموعة الأناشيد» في ثلاثة أجزاء. ثم صدر بعد ذلك ديوان للشاعر إسكندر الخوري البيتجالي، نشر الأول في العام ١٩٣٦ وهو كتاب «الطفل المنشد»، وحمل الثاني عنوان «المثل المنظوم» ولعله نشر بعد عام من الأول.

وعن أشعار اسكندر الخوري في ديوانيه الموجهين للأطفال كتب الباحث الدكتور خليل الحسيني في بحثه «اسكندر الخوري» حياته وأدبه يقول: «وكانت الأشعار مناسبة لعقول الصغار .. وقد حرص الشاعر أن يبتعد عن الخرافة .. وصاغ هذه الأشعار بلغة ميسورة وأسلوب يتناسب مع قدرات الأطفال».

ويكاد الباحث الحسيني أن يضع أشعار اسكندر الخوري في مستوى أشعار أحمد شوقي الموجهة للأطفال.

ومن احتوى ديوانه «الطفل المنشد» على قصص شعرية وأناشيد وصفيه كما في قوله: (٢).

إذا ما ديكنا صاحا أفقت وقمت مرتاحا
ونجم الصبح قد لاحا وعطر الروض قد فاحا

وفي أبرز الشعراء الذين صدرت لهم دواوين كرست للأناشيد الوطنية والمدرسية إميل الغوري الذي صدر له كتاب «أناشيد وطنية» وخليل طوطح الذي صدر له كتاب «أناشيد مدرسية».

أمّا قصة الأطفال فقد تأخر ظهورها حتى الأربعينيات، ولعل رائدها هو الأستاذ راضي عبد الهادي الذي وضع قصة بعنوان «خالد وفاتنة» عام ١٩٤٥، وقد نشرتها في العام نفسه مكتبة الأندلس بالقدس(٣).

وكتب في العام نفسه د.يوسف هيكل كتاباً بعنوان «أجداد النبي» باسلوب قصصي، وقد نشر في العام ١٩٤٥، ووجهه مؤلفة للأطفال حتى سن الثانية عشر.

ووضع محمود يوسف زايد قصة في كتاب بعنوان «يوليسيز التائه» وقد صدر في القدس ١٩٤٦.

وواصل عدد من الكتاب المشوار بعدهم، إذ ألف كل من د. اسحق موسى الحسيني وفائز علي الغول ومحمد العدناني عدداً من القصص الموجهة للأطفال مثل: «احمد المدلل، وأيام الشتاء، ووردان الوفي»، وقد نشرت هذه القصص في العام ١٩٤٧ بالقدس، عن مكتبة الأندلس.

واعتمدت أغلب القصص السابقة على الحيوانات كأبطال لها، تدار على ألسنتها حوارات توجه إلى قيم أخلاقية كالصدق وعمل الخير والتعاون ...الخ.

ولكن هذه القصص والكتب لم تكن جيّدة في الإخراج من حيث أغلفتها الورقية، وورقها من النوع الرديء وتخلو من الصور، وما شابه ذلك من عوامل التشجيع للطفل على مطالعة هذه الكتب وحبه لها (٤).

وفي المسرحية الموجهة للأطفال وبخاصة الفئة العمرية الأخيرة منهم كان من الأوائل في تأليفها الأديب والمؤرخ محمد عزة دروزة «ففي سنة ١٩٢٢ تولى رئاسة مدرسة النجاح الوطنية فحول سنة ١٩٢٣ رواية (وفود النعمان) الى تمثيلية مثلتها فرقة التمثيل في المدرسة على مسرح البلدية، وفي سنة ١٩٢٤ وضع تمثيلية أخرى بعنوان (عبد الرحمن الداخل) ومثلتها فرقة التمثيل على المسرح المذكور. وفي سنة ١٩٢٥ وضع تمثيلية باسم (ملك العرب في الأندلس) ومثلتها الفرقة نفسها. وقد بقيت التمثيليات الثلاث محفوظة، واستعارتها بعض الأندية في فلسطين التي مثلتها، وضاعت بدورها» (٥).

وقد أسهم في الكتابة للمسرح المدرسي قبل النكبة الأديب جميل البحري الذي الف عدة مسرحيات.

أما صحف الأطفال ومجلاتهم فقد تمثلت في المجلات المدرسية ومجلات الشباب للأطفال فوق سن الخامسة عشر.

ولعل أبرز هذه المجلات والصحف مجلة (باكورة جبل صهيون، وصوت الكلية، ومجلة مدرسة صهيون الانكليزية ومجلة كلية تراسانطة، ومجلة دار الايتام الإسلامية الصناعية في بيت المقدس والمنبر مجلة اتحاد النوادي الارثوذكسية العربية بالقدس ومجلة مصباح الحق ومجلة الرابطة بحيفا والكشاف والغد).

وقد حملت هذه الصحف والمجلات الطلائعية لواء الحرية والقومية تقدمه للطلاب في المدارس والمعاهد.

ولعلها بدأت منذ العهد العثماني ثم استمرت تصدر هنا وهناك في مدارس فلسطين طوال العهد العثماني (٦). وقد خصصت بعض الصحف صفحات منها للأطفال مثل مجلة السمير التي صدرت (في حيفا ١٩٤٠ وكانت بعنوان صفحة التلميذ).

وأسهمت الإذاعة الفلسطينية في تقديم قصص وحكايات للأطفال، مترجمة وموضوعة، وقد نشر قسم منها في المجلات التي صدرت عن هذه الإذاعة مثل مجلة (المنتدى) التي صدر العدد الأول منها عام ١٩٤٣، فقد أفردت صفحة للطلاب ومجلة (القافلة) التي صدر العدد الأول منها في العام ١٩٤٧ (٧).

أما الكتب المدرسية فقد أسهم في تأليفها عدد من الأدباء المعروفين أمثال خليل السكاكيني والنشاشيبي وخليل بيدس و د.اسحق موسى الحسيني وغيرهم. كما ألفت كتب في مجال المطالعة الإضافية للكتب المدرسية، وقد تميز في هذا المجال مصطفى الدباغ الذي عمل موجهاً في مدارس المعارف في الثلاثينات.

بعد النكبة

وقد واصل الشاعر أبو سلمى بعد النكبة كتابة الأناشيد للأطفال فهو «حين رأى الحاجة القصوى الى أغاني الأطفال أصدر لهم مجموعة من الأغاني (٨) في ألفاظ تسهل عليهم أوزانها وإيقاعها وتصلهم بواقعهم .. بالطبيعة ... والوطن .. والخير .. وقد جمعت المجموعة نظمهُ ... ونظم سواه كالشاعرة فدوى طوقان ... وسواها.

وأثبت (أبو سلمى) الى جانب كلّ نشيد تلحين النشيد .. والنوتة الموسيقية .. وأورد في آخر الكتاب مجموعة من الأناشيد للاختيار .. وقد لحّن هذه الأناشيد الملحن يحيى اللبابيدي والملحن يحى السعودي والملحن يوسف بتروني» (٩).

ومن شعر ابي سلمى للأطفال:

لو كنت عصفوراً ... لطرتُ في الوادي
والبلبل الشادي ... جنباً الى جنب
وعشت مسروراً ... لو كنت عصفوراً
ألتزم السفْحا ... وأرقُبُ الصُبْحا
وأنت يا قَلْبي ... تلتمس النورا

وفي مجال قصص الأطفال وفي الضفة الغربية واصل الكتاب التأليف إذ ألف راضي عبد الهادي ثلاث قصص هي: سمسمة الشجاعة ١٩٥٣ وفارس غرناطة سنة ١٩٥٢ وكوكو البطل سنة ١٩٥٠ وقد صدرت جميعها في مدينة القدس عن مكتبة الاندلس.

وكتب عبد الرؤوف المصري قصتين هما رغيف يتكم والأم الطموحة، وقد صدرتا في مدينة القدس عن مكتبة الأندلس في العام ١٩٥٧.

وكتب فائز علي الغول ثلاثة كتب هي الدنيا حكايات وقد صدر في القدس عام ١٩٦٥ وأساطير من بلادي عام ١٩٦٦. ومن سواليف السلف وصدر عام ١٩٦٦.

وقد صدرت هذه الكتب على نفقة أصحابها، وكانت جميعها خالية من الرسومات الجميلة والإخراج الجيد (١٠).

وقد استمر في الضفة الغربية تأليف الكتب المدرسية للمطالعة الإضافية مما يدخل ضمن «أدب الأطفال» ولكنها ليست كثيرة العدد، ومن الذين كتبوا في هذا المجال غير الذين ورد لهم ذكر سابقاً. أمين ملحس ونصري الجوزي وجمال حجازي وجميل أبو ميزر وابراهيم خطان (١١).

هوامش

(١) د. عبد الرحمن ياغي "الأناشيد الفلسطينية" . مجلة الطالب/المعلم. العدد ٢ (١٩٨٣).

(٢) هيفاء شرايحة. أدب الأطفال ومكتباتهم .- ط٢ .-عمان: المطبعة الوطنية.ص ٢٧.

(٣) محمود الأخرس: «مراجعة الكتب» مجلة رسالة المكتبة. المجلد ١٠١٤ العدد ٤ (تشرين الأول - كانون الأول ١٩٨٩).

(٤) المرجع نفسه.

(٥) حسين عمر حماده ٠- محمد عزة دروزة ٠- ط٢ ٠- دمشق: الاتحاد العام للكتاب الفلسطينين، ١٩٨٣. ص ٥١.

(٦) يعقوب يهوشع. تاريخ الصحافة العربية الفلسطينية ج٢ ٠- شفاعمرو: دار المشرق، ١٩٨٣.

(٧) المرجع نفسه

(٨) أبو سلمى: «أغاني الأطفال» ٠- دمشق. مكتبة أطلس، ١٩٦٤.

(٩) د. عبد الرحمن ياغي. «الأناشيد الفلسطينية». مجلة الطالب/المعلم. العدد ٢(١٩٨٣).

(١٠) هيفاء شرايحة. أدب الأطفال ومكتباتهم ٠- عمان: المطبعة الوطنية. ص ٣٨.

(١١) ثقافتنا في خمسين عاما ٠- عمان: منشورات دائرة الثقافة والفنون.ص ٢٧٤.

* تابع للقسم الأول للحلقة الأولى

اعـــلان

تود ادارة مجلة الكاتب ان تعلن للزملاء الكتاب وجميع قرائها الاعزاء ان مقرها الجديد انتقل الى المدخل الجنوبي لمدينة البيرة ، فوق معرض المصري للسيارات - شارع القدس / رام الله الرئيس، ورقم الهاتف الجديد هو ٩٥٢٨٩٠ (٠٢)

باحترام

ادارة المجلة

حضور الرؤيا ... رؤيا الغياب

قراءة في ديوان:

"بيان رقم غزة أريحا"

للشاعر يوسف ابو فارة

محمد مدحت اسعد

لم تتح لي فرصة القراءة الواعدة، المنجزة في الكشف عن الطموح الذي يراودني عادة عند الكتابة والبحث الجذري المعمق والتصور الجوهري الذي ينفذ الى خلايا النص وطبقاته واختراق عالمه والايغال في اللغة الكاشفة للبنى المشكلة لعناصره.

لم تتح لي هذه القراءة الكشف عن استقلالية النص واستقراره .. والامتداد الى خارج نفي الثبات الصوري وتحديد علائق الصور والوقوف عند صور تمتلك توهجاً فضائياً، يلقي على المكان/النص رؤى مبشرة بالحس الابداعي ونضوج الكلمة.

اتاحت لي هذه القراءة، الكشف عن الوعي ومدى ادراك الشاعر للعناصر المبلورة لنصه سواء على صعيد بنية المكان واتباع مبدأ التناظر والتقابل .. والهندسة البصرية ... والقافية الداخلية المتراتبة، او صعيد بنية الزمان القاعدية (اللغة المحركة وما يتبعها من عناصر تتداخل معها، مشكلة محاور وروابط نظمية، او علائق الزمن الداخلي "النحوي"، الزمن الخاص بالعالم المستحضر) ونجد في الجملة الاخيرة، اصابة للهدف، فهي الجملة المتعددة او المحورية التي تشكل نواة النص وبؤره العميقة، وهي الى ذلك تحدد العلاقة الفضفاضة بين النص وواقعه اولاً وبين النص ومبدعه ثانياً، الصورة الاولى حددت من خلال الزمن الخاص بالعالم المستحضر، اما الثانية فهي تشكل الرؤى المكثفة والتي تعني بعزل البراءة، براءة الكلمات عن السياق الاسلوبي المتبع في مجموعتي الشاعر، الاولى "بيان رقم مليون" والثانية "سيد الثوار" ويقينا ان هذه الكتابة نتجت عن القراءات المتعددة للاعمال الثلاثة فالعلاقة بين «بيان رقم مليون» و«سيد الثوار» تقوم على مسافة التلاصق والتقارب والتجاور، اي ان العملين الاول والثاني يشكلان عملاً واحداً من حيث البنى والصور واللغة والتشابه المضموني.

بينما نجد العمل الثالث لا يماثل العملين السابقين من حيث التجاور والتلاصق انما يمتد قصيا عنها بمسافة فراغية تحقق الكشف عن درجات التطور ... الذي يخليه العمل الثالث عن سابقيه من حيث .

اولاً: الانزياح عن براءة النصوص والتناص المكرر لنصوص مثبتة لمرحلة تبلورت رصدها الشاعر واثبتها في لغة ساخنة، عفوية منجزة من حيث التناول الشائع «تكرار الكتابة عند الاخرين».

ثانياً: يشكل العمل الثالث، حالة من الاستقرار النصّي المكاني وهي حالة مؤقتة، تخرج عن البنى والانساق المؤتلفة، فنجد اللغة تعنى بطزاجة الرؤى والتصور غير المنجز على الاقل الا في نصوص قليلة وعزلت نفسها لاسباب مدركة، تفهم من سياق واقعها «سيتم نفي هذه الحالة او هذا البروز في الاعمال المستقبلية للشاعر دون تحديدها الكمي».

ثالثاً: تتعدد مداخل النص في العمل الثالث وتتعدد المفاتيح مما يخلق اشكالات في القراءة والتفسير والايحاء، والنقطة الثالثة تفتح لنا «اقصد القراء» مجالات مختلفة ومتنوعة عن تعدد الايحاء في لغة الشعر كما عنى بها جان كوهين في كتابه «في لغة الشعر».

ولما كانت المباشرة، والمعنى المسطح احياناً، والتكشيف المكاني الجغرافي، والحدث المتزامن هي سمة بارزة وواضحة

كل الوضوح في العملين السابقين فان العمل الثالث «بيان رقم غزة أريحا». لا اقتراب ولا انفراد بطزاجة الحدث واكتماله، لا تكثيف للمكان وتأطيره الشمولي للنص، انما هي رؤيا اسقطت واغفلت قراءة الواقع او حدثه او الانفلات الى مضامينه وتفصيلها.

اذن الرؤيا عند الشاعر، محددة، بينية، لا تخلق معضلة يقينية، اي ان البلورة تبدأ من ثبات/فراغ، لها القدرة على الانتشار والتمدد، رؤية الواقع من منظور هو .. لا من منظور قد تأكدت واستوعب في جميع حالاته كما في ديوانه الثاني "سيد الثوار" الحدث الذي تبلور وتأطر بفعل مستوعب مثل قصيدة "ماسية جامعة الحصار» على سبيل المثال، حيث رصد الشاعر الحدث بتفاصيله في هذه القصيدة، المطولة.

يكشف العمل الثالث عن خصيصة أدركها الشاعر وعبأ بها شعره، وهي ملاحقة الحدث واستباقه من حيث قراءة واقع مستقبلي، غائم، غير مبلور.

هل يا ترى
من بعد هذا العقد
ترتفع البنود على السفائن؟؟
هل يا ترى
تنسين عنقود المدائن؟؟
هل يا ترى
فينا ستنتحر الضغائن؟؟
يا جارتي
هل يا ترى
من بعد هذا العقد
تبتسم السواحل!!

يشير المقطع في حركته الى واقع غير مبلور، حدثه لم يتكون، افضيته مؤملة ومشتهاه .. السؤال المكرر والمهندس، يحقق في انتشاره، وعياً مدركاً من حيث دائرية المعنى، المشكلة في ذهن المبدع ويقتنصها القارىء المتمعن، ويشكل المقطع حركتين: الاولى: الحضور او الولادة ويتمثل ذلك في جمل الاحاطة والافضاء الى عالم خارجي "ارتفاع البنود على السفائن .. ابتسام السواحل".

الثانية: الغياب او الموت ويتمثل ذلك في جمل داخلية (تنسين عنقود المدائن .. ستنتحر الضغائن).

في الحركة الاولى + الحركة الثانيه = علاقة مجاورة او تقوم على المشابهة خاصة ان البحر مفتاح الوطن، يفضي الى الحركة الواسعة، الحرية بمعناها الشامل.

وفي مقطع اخر، رغم اشارته الى واقع غير مبلور ولم يتكون، فاننا نلمح اهتزازا ورجرجه في حركة الفعل، مما يعني غبش الرؤيا وتشويشا يرجرج النص بين واقعين، مما يرجّح حالة الغياب بشكل لافت:

هل سوف اسمع
بعد هذا اليوم
اصوات البلابل؟؟
ام سوف ترحل
عن روايتنا العناديل؟؟
هل سوف تخبو
ام سترتفعُ المشاعل؟؟
هل سوف ترحل
ام سترتعش المناهل؟؟

تتقرن حالة التشتت بالافضاء الفسيح/الضيق، حيث نجد ان الحركة حركة الفعل تبدأ واسعة، رحبة ثم لا تلبث تضيق وتنحصر في الغياب.

اذا كانت الحركة السابقة في المقطع السابق تكتفي بعالم الحضور وتكريسه فان هذا المقطع الذي ندرسه يحقق في حدوده الاخيره حالة من التشكك، ونفي للحضور والغياب، ويعني ذلك تغيب الغياب بسبب التوازي، اي البقاء واستمرار الوضع الحالي على ثباته:

يافا تعانق غزه
يا جارتي
لا تكفري او تؤمني
لا تخنقي صوتَ النوارس
لا تحرقي
دمعَ المساجدِ والكنائس
لا تدفني مفتاحَك العجمي
لكن علقيه على الفرانس
لا تحبسي لحنَ الحنينِ
الى اناشيدِ السنابل
لا تبقري سرَ الحوامل
ما زال في الليلاء فارس
هو لم يزل يمضي يُقاتل
طفلٌ من العلياءِ نازل

الافعال في تراكمها تشكل مفتاحاً للنص ورؤيا لواقع مستحضر مناخه حرقاً للحضور وسحقه وتكريساً للغياب والاطاحة بالوضع الراهن لكننا نلمح انسراباً في الوعي تمثله اداة النهي وهي محور الحركة التي تسطح التنامي المتسارع لتلك الافعال وتفقدها السيطرة لكن هذه الحركة هي غير مدركة، كونها لا تلامس الواقع ولا تجاريه.

وتلتقي حركة النهي المستمرة بتلك الحالة التي لم ولن تتغير، الحركة المثبتة زمنياً وتصاعدياً، الماضي والحاضر والمستقبل وهي صورة الفارس الذي لم يزل يمضي يقاتل، حركة يرفدها وعي مؤكد.

(بيان رقم غزة أريحا) خروج على النص المستوعب، الذي تعودنا قراءته عند الشاعر وهو الى ذلك تمدد على الانكماش.

هذا الطقس اللغوي الذي يحاول الشاعر بلورته ما هو الا امتداد لنص لم يكتمل وواقع لم يتبلور.

واخيراً انها قراءة اولى تحاول رصد الخطوات لشاعر يتجدد.

محمد أيوب في روايته "الكف تناطح المخرز"

حضور الشعار وغياب الفن

د. عادل الأسطة

يختار محمد أيوب لروايته الأولى التي أصدرها عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين عام ١٩٩٠ عنواناً يحمل في ثناياه حساً تحريضياً يتمثل في المثل الشعبي الدارج، ولكن معكوساً، فلقد حذف الكاتب من المثل حرف النفي (ما) ليصبح المثل "الكف تناطح المخرز" لا "الكف ما بتناطح المخرز".

ويرد المثل الذي ظل الفلسطينيون، تحت الاحتلال، يرددونه، لشعورهم بأنهم، ضمن امكاناتهم المتاحة، غير اكفاء للاسرائيليين عسكرياً، ولرؤيتهم أيضاً عجز الأنظمة العربية المحيطة مجتمعة على انجاز انتصار على اسرائيل يسترجع أراضيهم المحتلة، يرد المثل على لسان أبي حياد الشيوعي الفلسطيني الذي آثر الحياد بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ وذلك بسبب التوجه العام الذي طغى "على المنطق الذي كان يطرحه ابو حياد" فقد " كانت عواطف الناس مع الكفاح المسلح، كانت الغالبية العظمى ترى الحل من فوهة البندقية، فكيف يمكن اقناعهم بأهمية الكفاح السياسي أو النضال النقابي أو النضال الفكري" (ص٧٩). و"كانت بعض العناصر من الفصائل الأخرى يسخرون من آرائه، فماذا سيفعل المنشور بل ماذا ستفعل البيانات والمظاهرات والاعتصامات الاحتجاجية، وهل نحن بحاجة إلى تأطير العمال في نقابات، والطلاب في اتحادات طلابية..."(ص٧٩) ولم يستطع في حينه إلاّ أن يوافق على رأي الفصائل الأخرى، ثم ينسحب وينزوي بعيداً. وليس صدفة أن يكنيه الكاتب بأبي حياد، ويكني رفيقه الذي واصل النضال بأبي كفاح، يرد المثل السابق مع تفجر الانتفاضة التي لامستها الرواية ولم تغص فيها.

وعموماً فان نزعة التنظير البارزة في الفقرات المقتسبة أعلاه تطغى على جزء كبير من الرواية التي اختار الكاتب، في أثناء كتابتها، شخوصاً لهم ماضيهم السياسي الفكري، وجاء الواقع، ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن ليحول الناس هنا إلى وحوش سياسيين شاؤوا ذلك أم أبوه سواء في ذلك الذي ينضوون تحت تنظيم ما أو الذين لا علاقة لهم بأي تنظيم.

وتقول لنا الرواية، في مجملها، إن الكاتب قد كتبها وهو منحاز إلى الشيوعيين، الذين يبدو تجميد مواقفهم، دون غيرهم، واضحاً وضوحاً تاماً، على الرغم من أنه صدّرها بالآية القرآنية: (وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل). وتقترب الرواية، على أية حال، كثيراً من الأدب الدعائي، وهي تذكرنا بالعديد من النصوص الأدبية التي كتبها شيوعيون، ومجدوا فيها تنظيماتهم ورؤاهم الثاقبة، كما يرون.(١).

نقرأ في الرواية، ويبدو ذلك من خلال الحديث عن شخصية أبي الفهد الذي اعتقل زمن الحكم الناصري، وزج به في سجون الواحات الصحراوية، فحول وغيره من الرفاق السجن إلى واحة، أبي الفهد الذي واصل النضال تحت الاحتلال، وظل نموذجاً للشجاعة والنظام والتضحية، سلاحه في ذلك "الكلمة الجريئة الصادقة"(ص١٣٨) ويتعلم منه حياد، حين يلتقي به في السجن، هذا.

"همس حياد:

- وهل يعلمكم الحزب ذلك.

- الحياة هي المدرسة الكبرى، والحزب يناضل من أجل أن يحيا الناس دون استغلال أو ظلم"(١٣٨)

وعموماً فان من يبحث في الرواية عن فكرة مختلفة او موضوع مغاير لما انعكس في العديد من النصوص الأدبية النثرية التي صدرت قبلها، وكذلك بعد صدورها، يخرج وقد تعثر بحثه، وتتشابه الرواية، باستثناء رؤية كاتبها للواقع، الرؤية التي لا ترد على لسانه مباشرة باعتباره ليس شخصية من شخصيات الرواية، الرؤية التي يمكن أن نستخلصها بعد قراءة الرواية، تتشابه مع العديد من النصوص الأخرى: تصوير الواقع

تصويراً مباشراً يقترب من النزعة التسجيلية.

تبدأ الرواية بمداهمة الجيش بيت أبي حياد لاعتقال ابنيه: حياد وسلام اعتقالاً احترازياً بسبب اقتراب يوم المساواة، ولا يعود سبب الاعتقال لكونهما نشيطين سياسياً وإنما ازعاجا لوالدهما بسبب ماضيه السياسي.

حيث كان ذات يوم شيوعياً نشيطاً. وتصور لنا فظاظة المحتل في سلوكه الهادف إلى ارهاب الناس، ونتعرف على شخصية أبي محمود الشرطي العربي ابن الناصرة الذي كان بصحبة الدورية، هذا الذي يخاف من دعاء أم حياد عليه وعلى ابنائه فيترك، فيما بعد، الخدمة في الشرطة حيث مرض ابنه بالفعل، وكأن دعاء أم حياد قد تحقق، كما نتعرف أيضاً على شخصية جندي يهودي يحتقر العرب ويكون قدوته رفائيل ايتان الذي شبه العرب بالصراصير ورغب -وما زال- في ترحيلهم حتى يتخلص من همومهم. ويلجأ ابو حياد إلى غير جهة قارعا بابها حتى تساعده في إخراج ابنه الذي سيتقدم لامتحان التوجيهي بعد عدة ايام، ونستمع منه ومن غيره، وهو في الطريق إلى القدس لمقابلة المحامية فيلتسيا لانغر، إلى نقد عنيف يوجه إلى لصوص الثورة والاغنياء.

ويلتقي حياد وهو في السجن بأبي كفاح الشيوعي صديق والده من قبل، ويتعرف عليه، ويحثه هذا على اجتياز امتحان التوجيهي حتى يرسله في بعثه إلى الخارج، ويطلق سراح حياد ليتقدم إلى امتحان التوجيهي، وفي قاعة الامتحان يبصر المعلمين الذين يغششون التلاميذ فيوجه نقده إليهم، ويرفض حياد لممارسة سلوك الغش. ثم يذهب إلى العمل في داخل المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ منتظراً النتيجة، ونتعرف من خلال عمله، هناك، على مشاكل العمال العرب، ونتعرف أيضاً على شخصيات يهودية متغايرة متباينة في نظرتها للعرب ومنها شخصية المرأة العجوز التي تعامله بعطف وحنو. وهناك، في المطعم ايضاً حيث يعمل تظهر شخصية الشرطي أبي محمود من جديد. لقد آثر ابو محمود ترك الشرطة لأنه خاف على ابنه الذي مرض، فحين عاد إلى البيت بعد اعتقال حياد وجد ابنه مريضاً. ويتصادق ابو محمود وحياد ويصطحبه معه لزيارة الناصرة، وهناك يشارك حياد في مخيم العمل التطوعي الذي أشرف على تحقيقه رئيس بلدية الناصرة الشيوعي، ويزداد بذلك اعجاب حياد بالشيوعيين.

ولا يتمكن حياد من السفر إلى الخارج، فلقد رفض ضابط المخابرات اعطاءه اقراراً بالسفر، وهكذا يجد نفسه مضطراً إلى الدراسة في جامعة بيرزيت، التي لم يبدأ دراسته فيها حتى تغلق بسبب تفجر الانتفاضة.

ويشارك حياد في الانتفاضة، ويعتقل كغيره، وفي المعتقل يتعرف إلى الشيوعيين ويزداد بهم اعجاباً، وبخاصة بعد ان يتعرف على شخصية أبي الفهد، وهنا نتعرف على ما يجري داخل المعتقل، وحين يضطهد الجنود المعتقلين يثور بعضهم، ويأتي مدير السجن يهددهم ويحتقرهم. ويأخذ حياد من أبيه بعض صفاته، ففي بداية الرواية حين يأتي الجنود ليلاً لمداهمة بيت أبي حياد، من أجل اعتقال ابنيه، ينفجر ابو حياد بالشتائم، وحين يتحداه الجندي قائلاً:

"اسكت وإلا أشبعتك ضرباً"

يرد عليه وقد اجتاح طوفان غضب كيانه وقد غلت الدماء أيضاً في رأسه:

"إن كنت راجل اعملها، والله لأكسر ايدك ان رفعتها"(ص٩).

والشيء ذاته يفعله حياد، يأتي مدير السجن ويخاطب المعتقلين:

"أنا لازم أربيكم يا خولات... اللي بيخرج من الخيمة لازم اضربه بالناء... عاملين رجال وانتو أقل من نسوان"

فيندفع حياد دون تردد إلى وسط الساحة بين الخيام ويشد جانبي قميص المدير بكلتا يديه ويصيح:

" إن كنت راجل طخ يا مرة"(ص١٥٥)

ولا يتردد مدير السجن بفعل ذلك، يصوب البندقية ويطلق الرصاص ويستشهد حياد.

هذا ملخص سريع، على أية حال، لمجرى أحداث الرواية وتطالعنا هنا وهناك صورة للأم الصبورة والفتاة التي تشارك في الانتفاضة، ونستمع إلى أحاديث الناس فيما يجري، ونتعرف أيضاً على غزة وحياة الناس فيها وفي خان يونس مدينة الكاتب، وتبقى الرواية موضوعاً كما قلت، عادية لم تأت بجديد، فهل أتت بجديد شكلاً؟

تبدو الرواية، شكلاً تقليدياً، أعني أنها رواية تسير فيها الأحداث سيراً طبيعياً كما تسير الاحداث في الحكاية، فهي رواية ذات بداية ووسط ونهاية. يسردها علينا شخص يعرف الأشياء كلها: يعرف المكان معرفة حقيقية، ويعرف شخوصه غموض فمن خلاله نتعرف على ماضيهم، وإن كان احياناً يترك المجال لهم ليعبروا، من خلال الحوار، عما يعتمل في نفوسهم، وحين نصغي إلى الشخوص لغة، نرى أنها تتحدث تارة بالعامية وطولاً بالفصيحة، تتشابه في ذلك الشخصيات العربية واليهودية أيضاً، ونستمع أيضاً إلى مفردات عبرية ترد على لسان الأخيرة، مفردات توضع، أحياناً، إلى جانبها معانيها العربية. ولا أريد هنا أن أناقش المستوى اللغوي للشخوص والسارد وملاءمة اللغة التي يتحدث فيها كل واحد منها لثقافته، فقد فعلت ذلك في دراسة أنجزتها عن رواية سحر خليفة باب الساحة

التي يمكن الرجوع اليها لقراءة ما كتب عن هذا الجانب، وأرى أن هناك تشابهاً كبيراً فيما يمكن ان يكتب هنا.

ثمة ظاهرة، تبدو واضحة وضوحاً تاماً، يلحظها الدارس في اثناء قراءة الرواية وهي تداخل المستويات السردية، بحيث يصعب التمييز أحياناً بين صوت السارد وصوت الشخصية، فثمة تغير بارز في الضمير المستخدم. وكان الكاتب قد استخدم أساساً أسلوب "الضمير الثالث" "الشخص الثالث"، بحيث نصغي إلى سارد يتحدث عن الآخرين، ولكنه لم يحافظ على هذا الشكل السردي، وكان الانتقال من الحديث عن آخر إلى جعل هذا الآخر يتحدث عن نفسه مستخدماً ضمير المتكلم غير مبرر في آحايين كثيرة، حتى ليذهب المرء إلى القول إنّ الكاتب يستعير حقائق الواقع شخوصاً يكتب عما جرى معها، ولكنه لم يستطيع أن يعطيها الحرية في أن تعبر عن نفسها لان ذاته تظل حاضرة، فينطق أحياناً نيابة عنها ولا يكتفي بذلك، بل انه يبدو غير قادر على اخفاء مشاعره ازاء ما يجري، فيطل علينا بين الفينة والفينة ليصور لنا مشاعره الخاصة.

سوف أتتبع هذا وأوضحه، وذلك من خلال التركيز على الفقرات الأربع الأولى من الرواية.

تبدأ الرواية بوصف الجو أولاً، ووصف الحالة النفسية التي ألمت بأبي حياد قبيل مداهمة الجيش بيته لاعتقال ابنية: "هبطت العتمة دفعة واحدة. نسمة بارت تلامس وجهه... شعور غريب يلف كيانه"(ص٧) ويتضح من هذه الفقرة استخدام الكاتب اسلوب السرد التقليدي (ضمير الهو) ويقطع هذا الأسلوب اسلوب الحوار، فنحن نصغي إلى الرجل وزوجته يتحدثان، ثم نصغي إليهما وإلى الجنود وهم يتحاورون، ويعود الكاتب ليترك السارد يتحدث ودون مقدمات نصغي إلى صوت الجندي، بحيث تتعدد الأصوات: صوت السارد من ناحية وصوت الجنود من ناحية ثانية، دون أن يكون هناك فصل مقبول، ولو شكلياً، ولنلاحظ هذه الفقرة:

"شلّهم ارتباك مفاجيء، كانوا يظنون أنهم بورقتهم الملعونة يوجهون أصابع الاتهام إليه، فاذا بهم في قفص الاتهام، اكتست وجوههم بلون الكركم، ماتت ابتسامة الظفر على وجه المسؤول عنهم داهمه قلق جامح، ماذا لو يتدفق الجيران من البيوت المجاورة، ماذا لو رشقونا بالحجارة؟! مذا سنفعل عندها؟ هل سنطلق النار كما اعتدنا؟ كان يجب أن أوقع الرعب في قلوب سكان هذا المنزل اللعين، فاذا بهذا الاحمق.. هذا المجنون، يقلب خطتي رأساً على عقب، فأجد نفسي متهماً بدلاً من توجيه الاتهام... ترى هل فعل بنا هتلر مثلما نفعل بهم اليوم؟"(ص ١٠).

هكذا ترد هذه الفقرة في الرواية، ولنلاحظ ايضاً ان الجندي الذي اعتاد ان يطلق النار على الفلسطينيين هو الذي يتساءل، وليس أبو حياد الذي يفترض ان يتساءل في تلك اللحظة ويجري المقارنة بين النازيين والصهيونيين: "ترى هل فعل بنا هتلر مثلما نفعل بهم اليوم؟" وأرى أن هذا التساؤل هو تساؤل الكاتب نفسه(٢)، لا تساؤل الجندي، وهذا يعزز ما كنا ذهبنا إليه من قبل، وهو أن الكاتب لم يكن يتمثل شخصياته تمثلاً كلياً حين يكتب. صحيح أن الرواية كلها هي في النهاية، عمل تخيلي، ولكن الكاتب البارع هو الذي يستطيع ان يبتعد عن شخوصه ويتركهم يتكلمون بحرية معبرين عن ذواتهم المفترض ان تكون غير ذات الكاتب إلا إذا كان هو واحداً من شخصياتها.

ويتكرر هذا التداخل في الأصوات، في الفقرة الأولى، غير مرة "أخذ بطاقته الشخصية، الوقت يمر سريعاً، أسرع من المعتاد لو أن الساعة تقف، لو أنهم يموتون. جميعاً قبل أن يأخذوني معهم"(ص ١١،١٠).

ويخصص الكاتب الجزء الثاني ليعني شخصية الشرطي العربي أبي محمود، ويبدأه باستخدام أسلوب الشخص الثالث: "نظر الشرطي المدني إلى ساعته... لكنه لا يزال يشعر بطعم البصاق يخترق مسام وجهه، يخترق خلاياه، يحرقها، لم اصادف في حياتي..."(ص١٤).

ويتكرر هذا الانتقال الفجائي، ايضاً غير مرة (ص ١٥، ص ١٦) كما نلحظ أيضاً هنا اختلافا في مستوى لغة أبي حياد بحيث يتكلم مرة بالفصيحة وأخرى بالعامية.

ويبدو هذا الانتقال فاضحاً وغير مبرر اطلاقاً في الجزء الثالث الذي يخصصه للحديث عن الجندي الاسرائيلي الذي يكره العرب ويحتقرهم، هذا الجندي الذي يتخذ من رفائيل ايتان زعيم حزب تسوميت مثله الأعلى. حقا تبدو اللعبة الروائية هنا أوضح ما تكون حيث يتخيل الكاتب العربي شخصية يهودية ويتركها تعبر من ذاتها دون ان يكون على صلة بها. إنها شخصية اليهودي المتعصب الذي يرفض التعايش مع العرب، وبالتالي فان معرفته عن عربي معرفةً جيدةً تبدو ضرباً من المستحيل، وهكذا يكون تخيلها والتعبير عن داخلها امراً غير ممكن، والسارد الذي يبدو عارفا بكل خبايا شخصياته يبدو عربياً لا يمكن ان يتعايش مع شخصية لهذه حتى يخبرها جيداً.

يبدأ هذا الجزء ايضاً باستخدام ضمير الغائب "تراجع إلى الوراء بخطوات مسرعة"(ص١٩) ثم نجد التعبير، في نهاية هذه الصفحة، وقد أخذ يتم عبر ضمير المتكلم: "ترى هل تعرفنا الكلاب ايضاً؟! هل تدرك الكلاب أننا محتلون؟ وإذا كانت لا

تعرفنا فلماذا لا تنبح عندما ترانا؟ ولماذا تسكت عندما ترى هؤلاء العرب هؤلاء الجريين؟"(ص ١٩،٢٠). ويتحول اسلوب السرد بعدها ليتم باستخدام ضمير الغائب "دارت السيارة".

والتساؤلات التي ترد على لسان الجندي اليهودي، على اية حال، ليست سوى تصور السارد - ومن ورائه الكاتب- لتصور اليهود المتعصبين لذاتهم وللعرب. وهكذا يخلق شخصية يسقط عليهما رؤاه وتصوراته، ولا يكتفي السارد بتركه يعبر عن تصوره للعرب بل يجعله يخوض في موضوعات أخرى مثل التساؤلات عن اليهودي والصهيوني ولنلحظ اختلاط الضمائر وتعدد الاصوات غير المبرر في الفقرة التالية على طولها:

"تلك المرأة الملعونة، ليست امرأة، وحشا كانت، نمرة شرسة، انطلق بصاقها ممزوجاً بشتيمة حادة.. تفو عليك وعلى حكومتك... وسكبت دعاءها سائلاً حاراً على وجه ذلك الشرطي المدني... العربي من الجليل لا شك انها كانت تظنه يهودياً، بصقت في وجهه، دعت على أولاده، ضعفت في البداية، كادت تتوسل إلي... أنت متدين، كانت تريد استثارة عاطفتي علني أشفق عليها وعلى أولادها، تظن أن لي قلباً يعطف، ولكن زوجها -ذلك الغبي- أفسد علي متعة التلذذ برفق رجاءاتها.... ترى هل يحب اليهود حقاً؟ وهل هو يهودي نقي؟ وما اليهودية؟ ومن اليهودي؟ ولماذا أنا صهيوني؟ وهل الصهيونية مجرد اجترار كراهية العرب"(ص٢٠).

ويبدو الجزء الرابع نموذجاً جيداً للحديث عن مستوى السرد وتداخلات الضمائر المستخدمة واختلاط الأصوات وحضور صوت السارد حضوراً بارزاً بحيث يستشف المرء من وراء هذا الحضور كأنه شخصية من شخصيات الرواية، ولكنها تظل شخصية نكرة غير محددة المعالم.

نقرأ في الصفحة الأولى من هذا الجزء الفقرة التالية:

"نظر إلى الساعة التي تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل لتوها، بريق الدمعة الحيري في عيون زوجته يتألق رغم ظلمة الليل، ترى بماذا تفكرين؟

انا شخصياً افكر في لا شيء... لا شيء مطلقاً!

استلب من شفتيه ابتسامة تظاهر باللامبالاة.

- كان يجب ان تزغردي بهاليوم، حكومة بحالها خايفة من اولادنا... من أطفالنا، اغتصبت ابتسامة تطورت إلى ضحكة في مرحلة الولادة، جالت الدمعة الخيري في عينيها، سكتت ولم تتكلم، فكثيراً ما يكون الصمت أبلغ من الكلام".(ص٢٤).

ولو كانت صياغة الفقرة السابقة على النحو التالي، لما كان هناك أي إشكال:

"نظر إلى الساعة التي تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل لتوها وكان بريق الدمعة الحيري في عيون زوجته يتألق رغم ظلمة الليل، نظر إلى زوجته وسألها: "ترى بماذا تفكرين؟" وتابع: "انا شخصياً أفكر في لا شيء.. لا شيء، مطلقاً: (هذا إذا كان ضمير المتكلم يعود إلى الزوج، أما اذا كان يعود إلى الزوجة فتكون العبارة: ردت عليه بدلاً من وتابع).

استلب من شفتيه ابتسامة تظاهر باللامبالاة وقال:

- كان يجب ان تزغردي، انت بهاليوم، حكومة بحالها خايفة من أولادنا... من اطفالنا.

اغتصبت ابتسامة تطورت إلى ضحكة في مرحلة الولادة، جالت الدمعة الحيرى في عينيها، سكتت ولم تتكلم"

ويكتفي بهذا دون اضافة العبارة الأخيرة "فكثيراً ما يكون الصمت أبلغ من الكلام" التي بدت تلاحظ من السارد نفسه، وكان يمكن لهذه العباراة ان تبقى لو وردت على لسان المرأة على الشكل التالي: "سكتت ولم تتكلم إلا بعبارة واحدة: أحياناً يكون الصمت أبلغ من الكلام".

ويبدو صوت المذيع هو الصوت الوحيد المقبول هنا كسره رتابة السرد الذي يقوم به السارد. هنا يتناسب تعدد الأصوات وحالة أبي حياد.

يذهب ابو حياد في السيارة، وهو قلق على مصير ولديه، ويكون شارد الذهن يفكر فيما حوله، ويصغي إلى الآخرين، ثم يتأمل المكان، ويكون صوت المذيع: "هنا دار الاذاعة الاسرائيلية اليكم نشرة الاخبار استهلها بالموجز...الخ.

وكما أشرت من قبل، فان السارد هنا هو السارد العارف بتفاصيل الأشياء، الملم جيداً بالمكان وبالشخوص وما يجري معها، ولنقرأ، على سبيل المثال، الفقرة التالية التي توضح طبيعة السارد:

"لم يهتم بقراءة اللافتة، ولاحت لافتة بيضاء كبيرة... مديرية التربية والتعليم، كانت اللافتة قبل فترة ذات لونين يتقاسمانها إلى مثلثين...أخضر وأصفر، وها هي الآن بلون أبيض مجرد تغيير ألوان وصياغة العناوين من جديد، ثم يبقى كل شيء على حاله لا يتغير، ضحك على الذقون لا أكثر، جندي يجلس على كرسي بظهر إلى يسار الداخل تقابله غرفة صغيرة، في الواجهة باحة صغيرة، درج إلى اليمين يصعد إلى الطابق الثاني..."(ص٣٢).

وسأكتفي بايراد هذه الامثلة، وغيرها، على أية حال، في هذا الجزء وغيره كثير. وكان يمكن للكاتب أن يتلافى هذا الضعف في مستوى السرد لو تمهل قليلاً في نشر عمله وعاود النظر فيه، وترك لنفسه الابتعاد قليلاً عما يجري واكتفى بمهمة السارد

المحايد. وكان يمكن له ان يتلافى هذا ايضاً لو استخدم اسلوب وجهات النظر بحيث تركنا نصغي إلى كل شخصية تحدثنا عن نفسها. صحيح أنه في مثل هذه الحالة لن ينجح كلياً في الاختفاء والابتعاد عن الشخصيات، ولكنه على اية حال، كان يمكن ان يقدم لنا مستوى واحداً من السرد: السرد بأسلوب ضمير المتكلم، وبالتالي فلن نلحظ هذا التعدد والتداخل في الضمائر، التعدد والتداخل الذي اضعف الرواية وجعل من شخصياتها ظلاً لرؤية الكاتب وتصوراته للشخوص وانتماءاتهم.

هوامش:

١- هنا تجدر الاشارة إلى رواية اميل حبيبي "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" ونصه المسرحي "لكع بن لكع". وتجدر الإشارة ايضاً الى قصة محمود شقير "الخروج" من مجموعة الولد الفلسطيني.

٢- انظر دراسة الدكتور محمود العطشان التي نشرها في مجلة كنعان (آب ١٩٩٢، ص ٢٤، ص ٢٧) تحت عنوان: "وعي الكاتب وأثره على المعمار الروائي في "الكف تناطح المخرز".

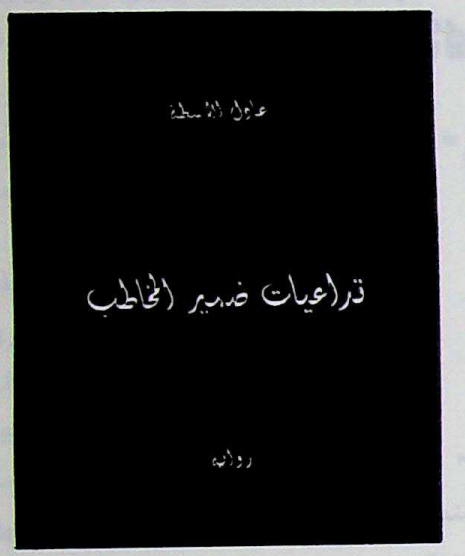

عادل الأسطة و تداعيات الضمير المخاطب

«إلى أسرة تحرير مجلة الكاتب بالود والتقدير»، بهذه الجملة الرقيقة أهدانا د. عادل الأسطة **عمله الادبي الروائي الاخير** «تداعيات ضمير المخاطب» الذي صدر مؤخرا.

تقع الرواية في ١٢٤ صفحة من القطع المتوسط، الجدير بالذكر أن الكاتب د.عادل الأسطه أصدر العديد من الأعمال الأدبية منها القصص القصيرة، والدراسات النقدية، بالاضافة إلى قيامه بالعديد من الترجمات وخاصة عن **الالمانية**

أخيراً، هناك نص أدبي بعنوان «ليل الضفة الطويل» سيصدر للكاتب لاحقاً.

ونحن في أسرة تحرير مجلة الكاتب، نتمنى للزميل د.عادل الأسطة المزيد من التقدم والنجاح وإلى الأمام.

استهلاك الجنس في رواية حنا مينه
"فوق الجبل وتحت الثلج"

د.وائل ابو عرفة

... «قد يكون الجنس موضوعاً للعديد من الابحاث الانسانية والاجتماعية، اذا ما عولج بصورة متكاملة كعنصر من عناصر استمرارية الحياة الانسانية. ولكنه يكون مبتوراً ومشوهاً اذا ما تطرقنا اليه بشهوانية مجردة تنشد اللذة والشذوذ وحيوانية الغريزة».

يعتبر حنا مينه من اكبر كتاب الرواية العرب، وعلماً من اعلام الرواية العربية الحديثة. وفي اعماله كان الانسان والوطن يشكلان هاجساً ابداعياً يفرض نفسه على ابداعه الادبي. ويضفي عليه رونقاً خاصاً، يستطيع حنا مينه وحده ان يُسيّره نحو ابداع متكامل ذي نزعة مميزة.

وخاصية حنا مينه انه يحول الحدث الى كلمة رائعة، والكلمة الى حلم، وينسج من هذا الحلم نظرته لمستقبل الوطن وخصوصية الانسان، حتى يندمج كل منهما بالآخر، ويعزفا معاً سمفونية من سمفونيات وحدة الوجود.

والوطن عنده ليس مجرد كلمة او مكان يكون فيه، او زمان يعيشه، وانما قطعة من جسده حملها من منفى الى منفى، لتدخل معه سجن الوطن الحقيقي بعد عودته اليه في ظروف حرجة.

ميزة حنا مينه، انه يجذبك الى عالمه الخاص رغماً عنك. فتذوب في رواياته وشخصياته دون ان تشعر ان يكون لك حق الاختيار. فكأنه يتحدث عنك او يروي قصة حياتك. تدخل معه عالم البحار لتكتب حكاية البحار مكملاً طريقك الى المرفأ البعيد، دون ان تشعر بمرارة الطريق وقساوتها، لترى الشمس في يوم غائم، فينتهي حلمك في بقايا صور.

لست ادري لماذا اختار حنا مينه في روايته الاخيرة اسلوباً آخر، يستحوذ فيه الجنس على جزء كبير من هاجسه الروائي، ويفرض نفسه على ابداعه الادبي دون مواربة. فتراه يغوص في عمق العملية الجنسية بشكل مجرد دون أو تكون انعكاساً لازمة معينة أو تعبيراً عن رفض لواقع ما. فقد يكون الفعل الجنسي بحد ذاته موضوعاً يعالج من زوايا مختلفة، كواقع للهروب من مأزق اجتماعي او واقع سياسي مفروض، او كدافع لحل مشاكل اجتماعية متأزمة كما طرحه يوسف ادريس مثلاً باسلوب ادبي راق في الكثير من اعماله الابداعية:

«الجنس شهوة الحياة ومحركنا الاعمق للبحث عن الطعام والشراب»(١).

«الجنس في اعمالي ليس تجربة بالمعنى المتعارف عليه، وانما تجربة حضارية، سياسية، كفاحية»(٢).

اذن فالجنس عند يوسف ادريس وكما ذكر عطا الله جبر في اطروحته عن الجانب الجنسي في ادب يوسف ادريس «عبارة عن ازمة حادة وعلاقة غير طبيعية ومشوهة يحمل مفاهيم عامة ليست محدودة او ذاتية، وهو ازمة بين ابطال قصص وبين المجتمع او بينهم انفسهم»(٣).

فترى ذلك الفقير الذي لا يجد في جيبه ثمناً لكأس من الشاي، فيعود الى بيته وليس امامه سوى النوم مع زوجته لينتج عن ذلك مولوداً جديداً بعد تسعة شهور.(٤)

وتلك القروية البسيطة التي تذهب للعمل في الحقول، فتجد نفسها متورطة جنسياً مع ابن صاحب الارض الاقطاعي، وتخنق مولودها بعد خروجه للحياة من اجل اخفاء معالم الجريمة.(٥)

وتلك المرأة التي تبيع جسدها بعد ان سقطت جنسياً بين يدي القاضي الذي اقنعها ان ممارسة الجنس معه هو جزء من وظيفتها عنده كخادمة من اجل الحفاظ على وظيفتها ولقمة عيش ابنائها.(٦)

فالجنس عند يوسف ادريس بدلالته الاجتماعية «ما هو الا عزاء يظهر المشكلة او الازمة الحقيقية بين الابطال

والمجتمع»(٧).

اما عند حنا مينه، فالجنس عبارة عن فعل قائم بذاته، دون ان يكون انعكاساً لاي مأزق اجتماعي او حضاري، ويفرق في خصوصيته وانفلاقه كأداة شهوانية للمتعة والترفيه.

ففي رواية الربيع والخريف مثلاً، والتي هي سيرة ذاتية للكاتب نفسه، يدخل الجنس في الكثير من احداثها من اجل الاستهلاك فقط، وكاضافة مفتعلة تبرز من خلالها علاقات جنسية بالوصف الدقيق:-

....«رفعت القميص عن الفخذين، عرضتهما للنور، ساعدتها في نزع ما تبقى، فتحت الخوان الذي تحول الى سرير استلقت عليه كقطعة بشرية مستعدة، ونهدان نافران متباعدان، وحلمتان ورديتان مثل كرزتين في تباشير النضوج. يا بيروشكا يا صغيرتي، بودي ان اكون لطيفاً والا اجعلك تتألمين، عضي على شفتيك.

ولم تستطع الا ان تصرخ، وتصاعدت على مدى دقائق غمغمات مشتركة، ومرّ قوس شديد الصلابة على مجرى قيثارة غضة الملمس، وكانت حركة متوافقة ايقاعية، وقالت بالفرنسية .. الآن .. الآن ... وظلت تردد الكلمة بايقاع متسارع الى ان تقطع وتبعثر وتناثر حروفاً متباعدة لم تلبث ان خفتت وتلاشت تدريجيا». ص ٢٦١.

وفي روايته الاخيرة «فوق الجبل وتحت الثلج» يتعرض الكاتب للجنس بصورة مجردة، يصف فيها اوضاعاً جنسية مختلفة وفي مواقع عدة، تشعر بها وكأنك امام فيلم جنسي لا هدف له سوى اثارة الشهوة والغريزة بطريقة حيوانية شاذة مجردة من المشاعر الانسانية، وذلك باعترافه نفسه على لسان بطلة روايته:

- سأجعلك تستشعرين بالسيادة على كل الاشياء.

- كيف؟ بممارسة الجنس، وعلى هذا النحو العجيب؟ وفي قلب الغابة ومن تحتنا ومن فوقنا الثلج؟ انت تتحول وتحولني معك الى نوع من الحيوانات وهذا شيء فظيع!!» ص ٢٢.

فرواية فوق الجبل وتحت الثلج، تختلف اختلافاً كلياً عما عهدناه في روايات حنا مينه، وهي تحكي قصة عربي مثقف يمارس الادب والصحافة. يتواجد في بلغاريا لكتابة تحقيق صحفي عن واقع التطبيق الاشتراكي فيها. ويحاول ان يتعرّض للكثير من الآفات السلبية التي نمت في ظل الاشتراكية وترعرعت في اكنافها، وساهمت مساهمة فعالة في انهيارها فيما بعد.

واثناء وجوده في صوفيا يتعرف في بهو الفندق الى بلغارية حسناء تعمل في الترجمة، نمت بينهما علاقة صداقة تحولت فيما بعد الى عشق وحب. وقد وجد نفسه معها منقطعين عن العالم على قمة احد جبال صوفيا وسط عاصفة ثلجية ضلا على اثرها طريقهما.

معظم احداث الرواية يرويها بطلها وهو معلق بين السماء والارض ومن فوقه وتحته الثلوج فلا يجد امامه من حل لهذا المأزق والتغلب عليه سوى ممارسة الجنس بطريقة حيوانية يسهب حنا مينه في وصفها وتعريتها ولربما اراد ان يظهر هذه العملية الانسانية الطبيعية كوسيلة للردّ على واقع فرض على ابطاله وتحدّيا له. ولكن من الصعب على القارىء ان يجد مبرراً مقنعا لهذه الاحداث الجنسية ووصفها باسهاب:-

«ليس من شيء فظيع، الحيوان اكثر صدقاً مع نفسه، واشد انسجاماً مع فطرته، لذلك يفعل وهو غير آبه بما حوله، وهكذا يبلغ النشوة التي نخاف بلوغها، دعي نفسك على سجيتها، حلي ازرار قميصك والا قطعتها، تراخي اكثر، سيكون كل شيء لذيذ وعاصفاً .. قالت باربارة هذه اول مرة امارس فيها الجنس على الثلج .. نحن في حال عجيبة، مجنونة، وشاذة.» .. «كل ما هو غريب وشاذ طبيعي، ما عدا ذلك فهو تصنّع . ضعي راسك على قليلاً الى ان أشبع من عنقك». ص ٢٣.

وهكذا يسترسل حنا مينه في وصف تلك العمليات الجنسية من فترة لاخرى اثناء سرده لاحداث روايته وتداخلاتها الى ان يصل الى حالات من التعرية الجنسية يعف على ذكرها لسان كاتب بحجمه وموهبته .. «فعلاً كانت لي بجسدها وروحها، اختضنتها، قبلتها، كانت دافئة، ودبّ الدفء في اوصالي بفعل "الماستيكا" × وفعل الشهوة، اخترعتها واطلت الاختراع، مارست عليها ما كنت اعرف انني اجيده جيداً وهو ارجاء الانتهاء والتحكم فيه. فجنّت .. وجنت من حميا الكونياك واللذة، واختلجت اختلاجات متتابعة انحلّت لها اوصالها، واعلنت دون موارية: كفى لم اعد استطيع .. ارجوك !!ص ٢٦٠.

وهل هنا اكثر اثارة جنسية من هذا المشهد الفاضح ..! حتى حنا مينه يعترف بانه فاضح ومبالغ فيه:-

«خضت معها التجربة للمرة الثانية في يوم واحد، لم اكن سلبياً، انما كانت هي ايجابية اكثر، ارادت في اللاشعور ان تكون دافئة، وهذا ما اتعبني، فبلغت ذروة النشوة معها في وقت قصير نسبياً. لكنني عندما جلسنا اسفت لان الجانب الحيواني فينا قد تغلب على الجانب الانساني. ولان ما فعلناه كان فاضحاً ومكرراً.»

- لقد كنت ممتعة ورائعة يا صغيرتي ..

- ذلك لاني فعلت ما فعلته برغبة وشهية.!! ص ٢٧٦.

وهكذا يبقى حنا مينه من خلال بطله على هذا الحال، معلقاً بين مدّ العاصفة

الثلجية، وجزر العاصفة الجنسية، الى ان يفقد الامل بالنجاة، ويقرر الاستسلام للموت واقفاً مع عشيقته في الدقائق الاولى من عام ١٩٩٠.

وبغض النظر عن عمق الابداع الادبي في هذه الرواية، فهي بعيدة عن الواقع الانساني الذي تعودنا ان نعيشه في اعمال حنا مينه، وليس هذا ما تعودنا ان نتلقاه من كاتب مبدع مثله. ومرة اخرى لست ادري ما هو سبب هذا الجنوح المفاجيء.

هوامش

١- "يوسف ادريس يتحدث عن تجربته الشخصية" - نبيل فرج - المجلة ك.ث ١٩٧١ ومجلة الجديد - عطا الله جبر ١٩٧٦.

٢- ماجد السامرائي "حوار مع يوسف ادريس" ك.ث ١٩٧٥.

٣- عطا الله جبر "مفهوم الجنس في ادب يوسف ادريس" الجديد ١٩٧٦.

٤- ٥-٦ روايات يوسف ادريس: ارخص ليالي، الحرام، قاع المدينة.

٧- عطا الله جبر - المصدر السابق.

* الماستيكا: مشروب كحولي بلغاري

* روايات حنا مينه: الربيع والخريف، فوق الجبل وتحت الثلج.

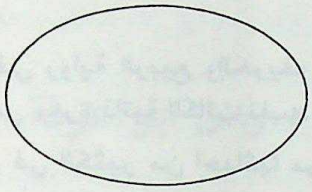

هدير وعناكب
د. توفيق أبو شومر

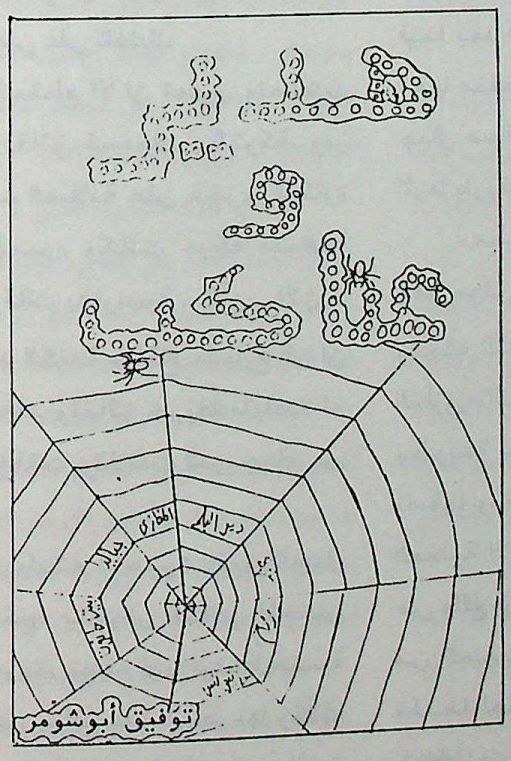

صدر مؤخراً أول عمل أدبي للكاتب توفيق أبو شومر وهو رواية بعنوان «هدير وعناكب». وقد أهدانا المؤلف نسخة من عمل هذا، توجه بعبارة حب وتقدير للجهد الأول.

تقع الرواية في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط والى الأمام.

صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة

عظيمة عند شعوب .. ومهتهنة عند غيرهم

د.اسمهان بدير صيداوي

«رحلة ابن بطوطة» او «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» .. كتاب جامع يمكن اعتباره من ابرز وأهم مصادر الدراسات لاحوال النصف الاول من القرن الرابع عشر.

وأهمية هذا الكتاب انه ينقل احداثا تاريخية ويصور حدودا جغرافية، ويحدث عن شعوب متعددة الاجناس والالوان، فيذكر ملوكهم وسلاطينهم وامراءهم وديانـاتهم وشعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم بحيث يعكس صورة واضحة متعددة الجوانب، عن احوال ومجتمعات البشر في تلك الفترة التاريخية.

واذا كان موضوع المرأة يشكل اليوم محورا هاما لابحاث عديدة تعمق بطرق جديدة تدخل فيه الموازين التحليلية من ادبية واجتماعية وسيكولوجية، فان هذا الموضوع كان قد طرح منذ قرون خلت، بشكل ادبي آخر، من خلال كتاب «رحلة ابن بطوطة» وان كان كاتب «الرحلة» قد توخى في عمله الادبي هذا طريقة السرد المباشر وغير المباشر ليظهر - ضمن النواحي العديدة التي طرحها هذا العمل - مختلف اوضاع المرأة في ذلك العصر. فالطريقة الروائية هذه لا تقل وضوحا وغنى عن طريق التحليل النفسي والادبي المتبعة اليوم، بل قد تكون ابلغ تضمينا وتحليلا اذا عرف القارىء كيف يستنبط الافكار والمعاني الملمح اليها. فابن بطوطة في رحلته الطويلة، يأتي على ذكر المرأة بشكل ملح في اخباره وحكاياته، وقد افرد لها على هذا السبيل فصولا شاملة جامعة تنم عن اهتمامه بعلم المرأة بطريقة موضوعية تتدرج في اطار روائي سردي صرف فأعطى بذلك صورة واضحة عن المرأة تتضمن هذه الصورة واقع المرأة المستمد من العلاقات الطبيعية او الغريبة التي تجمعها بتلك الاوساط عامة والمجتمعات الذكورية بشكل خاص. فلم يترك بلدا مر به الا تكلم عن نسائه: الاصيلة منهن والوضيعة، السلطانة والجارية، الصالحة والفاسقة، الوفية والزانية ..الخ.

وابن بطوطه في كتابه هذا لا يحلل ولا يعلل بل ينقل بصدق ما رأته عيناه من وقائع. قد يندهش احيانا حيال بعض الامور الغريبة او يعجب او يفاجأ او يسر او يحزن، الا ان ذلك يبقى ضمن إطار الموضوعية. فأهم ما يتوخى في هذا السرد القصصي هو الملاحظة والاستنتاج، لذا فان تصوير واقع المرأة الذي خص به قسما كبيرا من رواياته، يتخذ طابع الدقة والصدق والعزوف عن المبالغة. فهو لا يدخل في حكاياته الناحية الذاتية مثله في ذلك مثل الاستنباطيين الذين يعرضون الامور ببساطة وواقعية بعيدة كل البعد عن الذاتية.

ومهما يكن من امر فان صاحب كتاب «الرحلة» يعكس لقارئه صورة جميع المجتمعات التي عاش بها، مجتمعات لها عادات وتقاليد وطقوس وممارسات يومية، والتي من خلالها يحكم على هذه المجتمعات اتمدح او يهجى، ويشكل وضع المرأة الخاص فيها ميزانا للقوى المختلفة يظهر الميول المتعددة التي تتنازعها.

وان كان محور هذا البحث يدور حول صورة المرأة في عصر ابن بطوطة وتحديدا في المجتمعات التي عايشها وشارك فيها، وذلك من خلال اخباره وحكاياته لاسباب عديدة اولها اننا وجدنا في طيات الكتاب ما يعكس نظرة هذه الشعوب اليها او عما يشير الى مكانتها، وثانيا اننا وجدنا في اخبار النساء واحوالهن صورة للمرأة من خلال تاريخ البشرية الطويل، كانت النظرة اليها متناقضة، فبينما يراها البعض منبع الحنان والعطف والرحمة ومثال التضحية، يراها آخرون مسؤولة عن حرمان البشر من نعم الفردوس ومنبع الشرور وام المعاصي. ومهما تضاربت الآراء في المرأة وحولها فانها كائن بشري جمعت في شخصيتها وطباعها وتصرفاتها كل التناقضات كالرجل تماما.

وقد بحث ابن بطوطة في موضوع المرأة بشكل واسع وشامل موردا الحكايات التي سمعها عنها او الامور التي رآها بنفسه.

والواقع انه لم يترك ناحية تختص بالمرأة الا وقص عنها بالتفصيل، فكأن المرأة هذه قد اتخذت عنده ركنا مهما شكل في كتابه موضوعا موسوعيا يعتبر مرجعا هاما. ويبدو ان ابن بطوطة كان محبا للمرأة ومعجبا بها، وقد تزوج الكثيرات من النساء اثناء مروره في مختلف البلدان.

تكلم عن جميع النساء اللواتي صادفهن في رحلته الطويلة، فمن نساء المغول الى نساء الجزر الى نساء اندونيسيا، الى نساء الصين، يتغير المشهد وتختلف المعايير والراوي يجسد صورة المرأة في اطارها الجغرافي، السياسي وأسس العلائق السائدة في ذلك العصر.

ومن الملاحظ ان ابن بطوطة لا يتوخى احياناً في حديثه عن المرأة العرض المباشر، ففي مواضع عديدة من كتابه، نراه يمعن في وصف الاطار الذي تبرز فيه المرأة فيما بعد، فهو مثلاً يصف هيبة الحاكم وعظمته قبل ان يخبرنا عن المرأة التي تشغل هذا الاطار، فيتيح للقارىء ان يمسك بطرف الخيط.

فعندما يريد ان يتكلم عن نساء السلطان، الحاكم المغولي، يصف اولا عظمة هذا السلطان، فهو يملك مملكة كبيرة وهو شديد البأس، دويلاته واسعة، ومملكته شاسعة، ثم يقول: ان هذا السلطان اعتاد ان يجلس بعد صلاة الجمعة في مقصورة تسمى المقصورة الذهبية، وهي مزينة بسخاء رائع، ثم يصف جلسة السلطان وهيبته، فيقول: ان السلطان يجلس على عرش محاطا بالرعية عن يمينه وشماله. ثم يرينا موضوع اولاده الصبيان والبنات منه. وانطلاقا من هذا الاطار، نرى ابن بطوطة يتكلم عن المرأة، فيمركزها في داخله ويرينا مكانتها. فعندما يقول ان الملك رغم تلك العظمة وهذا البأس «كان يقف عند قدوم كل واحدة منهن» يستطيع القارىء عندها ان يتبين مدى قيمة هذه المرأة واهميتها في هذا المجتمع. وابن بطوطة يعرب عن الدهشة حيال بعض الامور الغريبة بالنسبة لقاض مسلم. فالراوي لا يستطيع ان يخفي دهشته هذه امام بعض المواقف التي يقوم بها السلطان. فعندما تأتي احدى الاميرات يقف امامها ويمسك بيدها الى ان تصعد على العرش (١) اما بالنسبة للخاتون الكبرى فهو يتقدم نحوها حتى باب الخيمة، يسلم عليها، يأخذ بيدها ولا يجلس الا عندما تصعد الى العرش وتجلس بدون حجاب.

هذه الطريقة في السرد تصبح امرا مألوفا في حكايات ابن بطوطة. وهي تبرز بشكل اوضح واعمق في حكايات النساء، عندما يطرق موضوع المرأة ووضعها الاجتماعي، فيعمد الى وصف الاطار الذي سيضعها فيه لاحقا.

وجوه متعددة للمرأة او نوح نسائية مختلفة تخترق كتاب ابن بطوطة من اوله الى آخره لتعطي صورة - قد تكون غريبة - عن نساء ذلك العصر.

فالمرأة رآها ابن بطوطة وعاينها عن قرب في جميع ظروفها وعند الشعوب التي زارها في رحلته، ارانا اياها في عظمتها ووضاعتها، في اجلالها وذلها، في عاداتها وتقاليدها.

المجتمعات الذكورية الى المرأة؟ وكيف ان العرب ينظرون اليها نظرة استهجان واستهتار، اي انها مشكلة ومع ذلك لا يتوارون عن استعمالها واستغلالها. وكيف ان الاتراك والمغول والاندونيسيين والآسيويين يحبون المرأة ويجلونها بشكل عام، رافضين التخلص عن بعض العادات التي تبرز هذا الاحترام، عندما اتى امراء الاسلام وأبوا عليهم ذلك.

وعليه فان هذا البحث ينقسم الى جوانب ثلاثة، سنتكلم عنها باختصار وذلك لضيق الوقت.

الجانب الاول: اجتماعي يبحث في مكانة المرأة عند الشعوب والمجتمعات التي زارها ابن بطوطة. ويتضمن هذا الجانب قصص الخواتين، نساء السلاطين ثم الجواري، وهو يظهر خصوصاً الناحية الطبقية التي كانت تميز مجتمعات ذلك العهد، وبالتالي الوجه السياسي لهذه المجتمعات، فيتطرق الى مكانة المرأة ثم جلال الخواتي ووضع الجواري بحيث نرى من خلال وضع المرأة عند الشعوب التي عايشها ابن بطوطة النزعة الطبقية التي كانت صفة ملازمة لتلك الشعوب. ومن الملاحظ ان ابن بطوطة يتعمد اظهار مكانة المرأة عندما يجدها معظمة من الرجال او عندما يجد مكانتها ارفع من مكانة الرجل، فيشير الى ذلك بوضوح كما في قوله عن نساء السودان «ولنسائهن الجمال الفائق وهن اعظم شأناً من الرجال»(٢) وهذا يعني ان المرأة في هذا العصر كانت مساوية للرجل او ليست اقل قدراً منه او انه هكذا كان ينظر اليها بوجه عام.

ففي السودان كما عند الاتراك والتتر، نرى ان للمرأة مكانة عظيمة بالنسبة للمجتمع كما بالنسبة للحكم خاصة اذا كانت من الخواتين اي نساء السلطان.

امور كثيرة في هذا الاطار كانت موضع اعجاب ودهشة الرحالة ابن بطوطة فيخلص الى القول: «ورأيت بهذه البلاد عجباً من تعظيم النساء عندهم وهن اعلى شأنا من الرجال»(٣) قاصداً بذلك السودان والمغول والاتراك وغيرهم.

وهكذا نرى ان المرأة في هذه الحقبة لم تحرم من مقاليد الحكم. وقد وردت في الكتاب اخبار كثيرة عن هؤلاء الحاكمات كالسلطانة رضية والسلطانة خديجة سلطانة جزر ذيبة المهد.

غير ان وضع المرأة الذي وصفه ابن

بطوطة في كتابه يقدم فوارق ومفاضلات ملفتة للنظر، وعليه فان موضوع الخواتين(٤) يقابله موضوع الجواري، عظمة المرأة بمجدها وسحقها، تكريمها وتحطيمها حالان لا ينفصلان احياناً، لذا فانه من الضروري ان نشير الى تلك الناحية الثنائية الخاصة بوضع المرأة في ذلك العصر كما اورده لنا ابن بطوطة. فالشق الاول يتعلق بالخواتين واجلالهن واكرامهن. والشق الثاني يبحث في الجواري ووضعهن المؤلم المشين. واخبار رحلاتنا تسلط الضوء على نواحي اجتماعية طالت المسرح السياسي آنذاك.

فولاء المفول للمرأة الاصيلة الارستقراطية التي تنحدر من سلالة الامراء والملوك، اما المرأة العادية التي تنحدر من عامة الشعب، فلا تحظى بنفس المرتبة ولا تتلقى نفس الاحترام. ويخبرنا ابن بطوطة ان المرأة تبدو اقل شأناً من الرجل اذا كانت من الجواري، وهن كثر في ذلك العصر، تشرى وتباع بأبخس الاثمان. الا ان هذا البيع والشراء لم يكن عيباً عند اهل الصين. فأهل الصين اجمعون «يبيعون اولادهم وبناتهم»(٥).

وفي بعض قرى مصر كانت النساء تحرم من الميراث، وقد تكون المرأة خاضعة لعادات غريبة تحد من حريتها كامرأة، كنساء بلاد الجاوة اللواتي، وفي بعض البلاد لا تخالط الرجال وهذا الامر يظهرها غير مساوية للرجل من الناحية الانسانية والاجتماعية(٦). اما حكايات ابن بطوطة عن نساء الجزر (ذيبة المهد)(٧) تظهر مدى اهتمامه واعجابه بهن، وقد كان شديد الاعتزاز بنفسه لانه حمل بعض نسوة الجزر على ان يقاسمنه الطعام. فالقاضي استطاع ان يغير قليلاً من عادات تلك النساء، وقد شغل ابن بطوطة منصب قاض في الجزر التي زارها، ومن هذا الموقع كان يعيب على نساء جزر الهند الشرقية زيهن الخاص وتنقلهن نصف عاريات، وان كان قد حث اثناء اقامته وعمله على وضع الحجاب، فان هذا الموقف لم يدم طويلاً، فقد كان ابن طنجة يقدر الجمال ويعجب بوله بهذا الزي الذي كان يظهر جمال جسد نساء الجزر. وابن بطوطة القاضي اورد انه لا يمانع بان يجتهد في الشريعة ويتساهل بالنسبة للزي والحجاب.

والجانب الثاني يندرج ضمن المظهر العرفي والتقليدي، فيبين النزعة الطقوسية التي كانت تسود مجتمعات ابن بطوطة ويتحدث عن اعمال النساء السائدة آنذاك، ازيائهن، اعراسهن، زواجهن، تقاليدهن بوجه عام، كما يصور نساء السلاطين والجواري. ثم اعمال النساء عند بعض الشعوب، ويذكر ايضاً في مواضع متعددة ان نساء عصره كن يمارسن الفنون الادبية كالرواية والشعر.

اما الجانب الثالث فهو صميمي يبحث في سلوك المرأة في جميع مراحله وهو يعكس صورة المرأة المزدوجة بخيرها وشرها، بصلاحها وانحلالها اخلاقها، انما يحدد اظهار هذا الجانب ويموضعه من الناحية (السلوكية) بحيث يتجلى فيها مبدأ النزعة المانوية ويبرز فيها مفهوم المرأة، متأرجحاً ما بين مبدأ الخير ومبدأ الشر، وذلك من خلال مواضيع: غرائب النساء؟ صلاح النساء؟ فساد النساء؟ ووفاء النساء؟

ومن هذه الناحية التي بها تكتمل صورة المرأة كما عكسها كتاب رحلة ابن بطوطة ندخل في اطار صميمي كما ذكرنا سابقاً ونمر عبر سلوكية تتناول تصرفات المرأة وسلوكها ضمن مجتمعها وبيئتها، مما يجعل هذه لناحية مخصصة لبعض الاستنتاجات على الصعيد السيكولوجي.

ثلاثة مواضيع هامة تترافق في هذا المجال لتعكس الصورة النفسية التي كانت تميز امرأة هذه المجتمعات، وبعض نسوة تلك الشعوب التي ذكرها ابن بطوطة في كتابه: غرائب النساء، صلاح النساء، وفاء النساء وعقاب الزانيات.

وفي الواقع ان مفهوم الفساد والزنا وانحلال الاخلاق وارتكاب المعاصي والفحشاء يصعب احياناً تحديده من خلال حديث مقتضب، فابن بطوطة يقول عن اهل الصين انهم يكرهون الفساد ويتلافونه: «لا نريد ان يسمع في بلاد المسلمين انهم يخسرون اموالهم في بلادنا وانها ارض فساد»(٦) بينما نراهم في موضع آخر من الكتاب يبيعون اولادهم ونساءهم دون ان يجدوا ضيراً في ذلك. ثم نرى الشعب المغولي يكرم المرأة كخاتون، عظمها واحترمها.

فكيف يمكن لشعب ثوري ودموي مثل شعب المغول ان يظهر كل هذا الشعور العاطفي الراقي، حيث يتعادل الوجه الحضاري والوجه الهمجي؟ التناقض موجود بوضوح وهو يثبت مبدأ النظرية البودليرية والتنازع الازلي في الذات الانسانية.

فما هي ركائز الاخلاق الحميدة عند هذه الشعوب؟ اين تبدأ وأين تنتهي؟ ونسبة الى اي قواعد او عقائد؟ وفي حكاية اخرى من الرحلة، نجد ان البغاء شيء شائع في بعض البلاد وان الناس في هذه البلاد يستخدمون الجواري لذلك فهم «يشترون الجواري الروميات الحسان ويتركونهن للفساد وكل واحدة عليها وظيف لمالكها تؤديه له.

فاذا كانت السلاطين في ذلك العهد تحمي البغاء وتشجع على الفساد، لا بل تمارسه، فكيف تتهم أمرأة ذلك العصر ونساء تلك المجتمعات بأن الفساد ولد معها ولازمها، وانه متمم لذاتها كأنثى، كما يلمح اليه من خلال بعض الحكايات؟ ومن يكون المسؤول الاجتماعي والديني والسياسي؟(٨).

وحكايات ابن بطوطة هذه تطرح عنده

مسائل عديدة اولها ان المجتمع الذي يصفه هو مجتمع بدائي يقوم على مبدأ الغريزة الحيوانية، والمسألة الثانية هي تحديد مفهوم الزنا والفساد ونسبيته. فهل ما كان يعتبر زنا بالسابق ما زال يفهم كذلك حتى اليوم في المجتمعات الشرقية؟ (بما ان المجتمعات الغربية تخطت منذ قرون هذه المسألة). وكيف يعتبر زانيا من عنده ثلاثين امرأة حلال؟ ثم هناك مسألة العقاب ودرجاته والذي يذهب من الرجم حتى الموت(١٠). مسائل كثيرة يطرحها الكتاب تدعو الى الاعتقاد بأن عادات وتقاليد كثيرة لم يستطع الاسلام التخلص منها نهائياً، حيث ان مفهوم الاخلاق يصبح نسبياً، فيسمح لقاضي الشرع ابن بطوطة اقتناء الجواري! كل هذه الامور تطرح نفسها في حكايات ابن بطوطة وتفتح المجال لابحاث ودراسات عديدة لا تدخل في بحثنا هذا الذي توخينا منه فقط ابراز صورة المرأة كما تعكسها حكايات الرحالة في اطارها الجغرافي الاجتماعي السياسي، وأسس العلائق السائدة في ذلك العصر.

فما هو - من هذا المنطلق - مفهوم الفساد ومصطلحه؟ ومن اي زاوية يجب ان ينظر اليه؟ من خلال ذهنية شرقية؟ غربية؟ اسلامية؟ وكيف تبدو الذهنية هذه اذا اعتبر من خلال نظرة غربية؟

وهنا يمكننا ان نطرح مسألة المانوية وما نحا اليه هذا المذهب الفارسي الذي يرتكز على عقيدة تخبط الانسان بين النور والظلام والخير والشر. وفي الواقع ان الانسان يتجاذبه عاملان كما يقول بودلير: الاول يشده الى اعلى حيث الخير والثاني الى اسفل حيث الشر. هكذا المرأة، كما الرجل. والذين اتهموا المرأة بأنها اساس الفساد وان الشر متأصل فيها لا بد وانهم متجنون عليها. كل تلك التفاصيل التي اوردها ابن بطوطة في حكاياته عن المرأة، الحقد والغيرة، الفساد والصلاح، الوفاء والخيانة، تثبيت نظريات عديدة تقول ان ميل الانسان الى الشر له مسبباته انطلاقاً من تلك العقائد الآنفة الذكر، فكيف تظهر امرأة «رحلة ابن بطوطة» بالنسبة لذلك؟(١١).

المراجع

١- رحلة ابن بطوطة - دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٥.

٢- ابن المقفع - كليلة ودمنة - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٥.

٣- مارون عبود - سبيل ومناهج - دار مارون عبود - دار الثقافة

Frederic Nietzcch - ainsi parfait zorathorestra, Traditpar Heneri Albert Ed. Mercure de France 1984

هوامش

٢- رحلة ابن بطوطة ص ٦٧٧

٣- رحلة ابن بطوطة ص ٦٧٧

٤- رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٤ - ٢٣٩ - ٢٣٣ - ٢٤٤

٥- رحلة ابن بطوطة ص ٦٧٧ - ٦٩٦

٦- رحلة ابن بطوطة ص ٦٩٦ - ٦٢١ - ٦٢

٧- رحلة ابن بطوطة ص ٢٤٨

٨- رحلة ابن بطوطة ص ٢٩٠

٩- رحلة ابن بطوطة ص ٢٨١

١٠- رحلة ابن بطوطة ص ٢٢٠

١١- Fredetic Nietcche - Ainsi Parfait Zorathoretra. Tradint par Henri Albert Ed. Mercme De France 1948. P. 75.

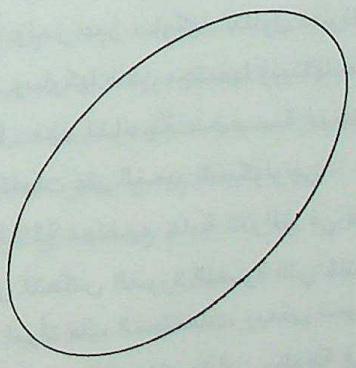

تنويه واعتذار

حدث سهواً بعض الأخطاء في دراسة د.ماجد صبيح في العدد الماضي حيث ذكر في العمود الثاني السطر الثامن، صفحة رقم ٢١ "نجحت في ظل وجود سلطة مرتبط ..الخ والصحيح هو "نجحت في ظل سلطة أو عدم وجودها مرتبط ..الخ" وكذلك في العمود الثاني السطر الثامن صفحة رقم ٢٤ ذكر "كبار الملاك شبه العقاريين" والصحيح هو "كبار الملاك العقاريين وكذلك بعض الأخطاء المطبعية.

اننا نأسف لهذا الخلل ونقدم اعتذارنا إلى د. ماجد صبيح ولجميع القراء.

السخير للدعاية ١٩٩٤

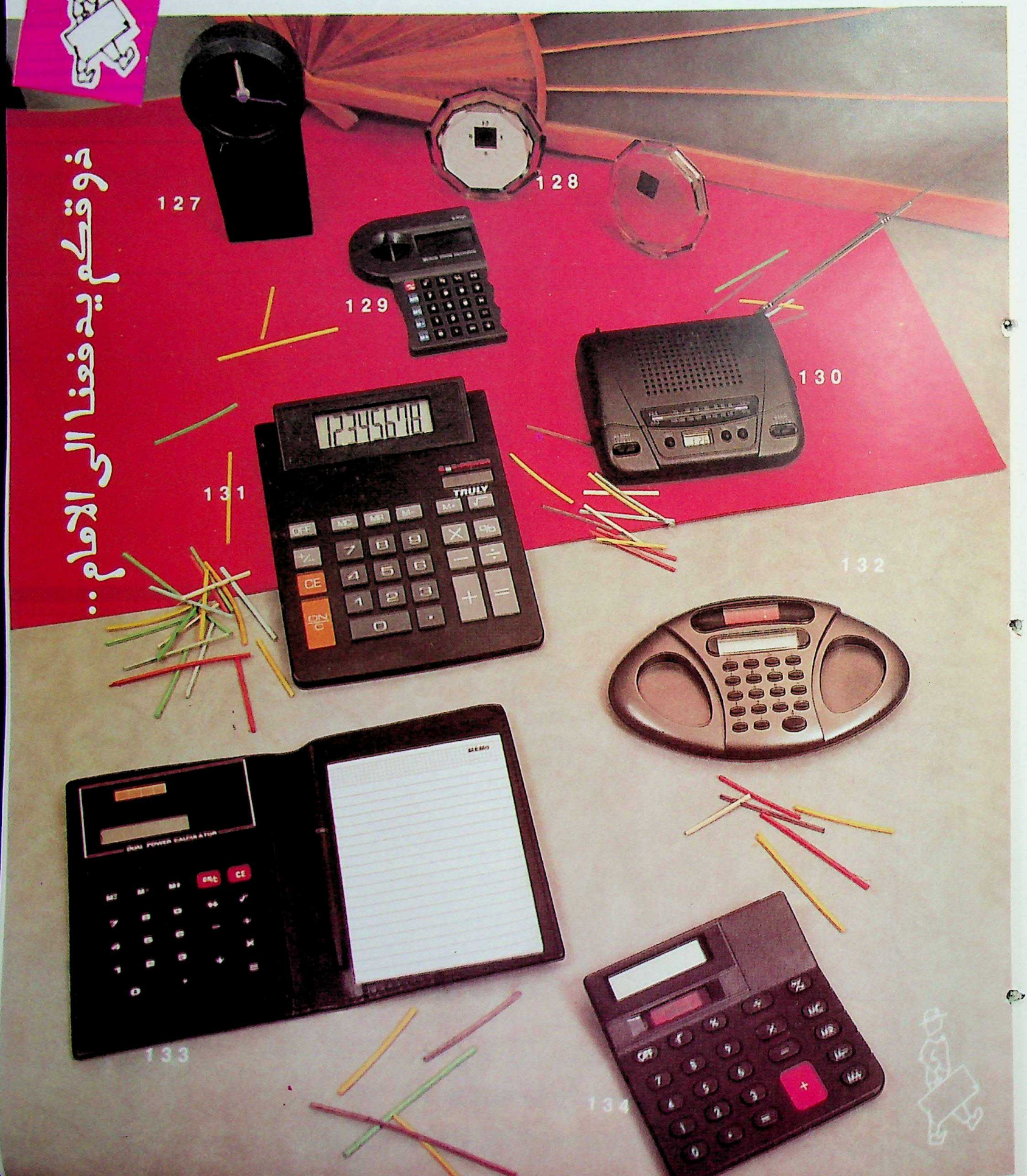

كل عام وأنتم بخير

شركة سنمار للكمبيوتر

olivetti

نعم... أوليفيتي

الكمبيوتر ذو الجودة العالمية!

بـ ٣٧٨٠ ج

٦٣٠ ج.م ٦ أقساط

السعر يشمل ض.ق.م

מחשב 486 PCS 40 S25

זכרון 4M.B -

כונן 1.44M.B -

מסך S.V.G.A 0.28

Windows, Dos

olivetti DM 124 طابعة كمبيوتر ذات جودة طباعة عالية

- عدد الأبر برأس الطابعة 24
- ذاكرة كبيرة 40 KB
- عدد اللغات 7
- عرض الطابعة 8"

السعر: ٢٢٥ ج.م ٦ أقساط

السعر يشمل ض.ق.م

olivetti OFX 100

٦ × ٢٢٣ ج.م

السعر يشمل ض.ق.م

محول بين فاكس / ماكينة إلكترونية / هاتف

جهاز فاكسميليا استعمال سهل للجهاز (٢ أزرار)

- استقبال أوتوماتيكي / يدوي
- امكانية طلب كلام خلال الإرسال
- ١٦ مستويات رمادية
- تصوير مستندات
- تقارير استقبال وإرسال

olivetti OFX 3100

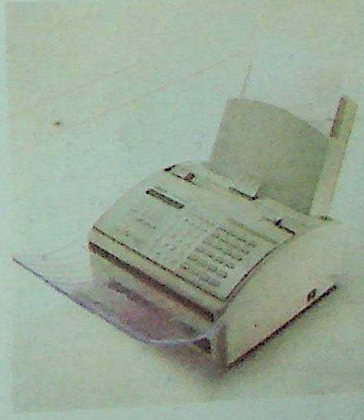

- فاكسميليا تستعمل ورقاً عادياً حجم A4 بجودة عالية وترسل ورقة حجم A3
- طباعة رذاذية نفث الحبر (Bubble Ink Jet) ذات سرعة
- إرسال أوتوماتيكي عن طريق الذاكرة حتى ١٠٠ رقم مختلف
- تصوير مستندات ورق عادي حتى ٩٩ نسخة.

** استقبال عن طريق الذاكرة في حالة انتهاء الورق أو الحبر في الفاكس.

لمزيد من التفاصيل الرجاء الاتصال بنا ...

شركة سنمار للكمبيوتر Sinimar

الناصرة - مقابل مسجد السلام

٥٦٥٥٧٥ ٥٦٥٥٧٤

Al-Mashriq Insurance
المشـــرق للتأمين
نحن نعطيك الامان
من هنا نبدأ معاً....
المشرق للتأمين
عش انت للأمان وضمانة للمستقبل
وكلاؤنـــا فـــي كـــل مكـــان
المركز الرئيسي :البيرة - عمارة سوق البلدية التجاري -الطابق السابع - تلفون ٠٢-٩٥٨٠٩٠ ٦ -
فاكس: ٠٢-٩٧٢٢ - ٩٥٨٠٨٩ : ص.ب ١٦٠٠ رام الله ، برقيا :المشرق

سكودا

IQ + ❤ = ŠKODA
Volkswagen Group

ش فولكس فاجن

٣٥ الف فاتل

دوبل كابينا

سكودا من جبال الألب والكربات في أوروبا

إلى

جبال وسهول الضفة الغربية وقطاع غزة

٣٥٣٩٩ فاتل

٤٢٧٧٧ فاتل

٢٧٩٩٩ فاتل

شركة المصري التجارية

وكلاء عامون سكودا في الضفة الغربية

رام الله - تلفون ٩٥٣٦٥٧ فاكس ٠٢-٩٥٩٦٩٠ .

الأديب رشيد بوجدرة:

الفرنكفونية ... امبريالية ثقافية مغطرسة

* أصب همومي في ذلك الشيء الذي نسميه رواية *

حوار: بركسام رمضان

هو نموذج للمثقف المناضل

تعلم العربية بشكل سرى في الجزائر: ثم هربه أبوه لاتمام تعليمه في تونس، وعاد ليحمل السلاح ضد المستعمر حتى تحقق التحرير.

ولكنه - شأن كثير ممن ناضلوا ضد الاستعمار في المغرب العربي - لم يجد غضاضة من استعمال لغة المحتل السابق في الكتابة الأدبية .. كتب ست روايات نشرت في فرنسا ولاقت نجاحاً كبيراً تنبه بعده إلى أن الاستعمار الذي خرج من الباب يعود متسللاً من شباك اللغة فنفض يده من الفرنسية ليكتب روايته السابعة بالعربية.

انه الأديب الجزائري رشيد بوجدرة الذى يروى لنا الحكاية من البداية فيقول:

** ولدت في قرية من قرى الهضاب العليا الشرقية واسمها (عين البيضاء) وكان ذلك عام ١٩٤١، ولكننى كبرت في مدينة (قسنطينة) حيث كان أبى تاجراً كبيراً في مجال التصدير والاستيراد، وقد تعلمت اللغة العربية في احدى المدارس الخاصة التابعة لجمعية العلماء المسلمين التى كان أبي ينتمي اليها، وكان هذا التعليم خارج التوقيت الرسمى الخاص بالمدرسة الفرنسية، والجدير بالذكر أن تعليم اللغة العربية كا ن

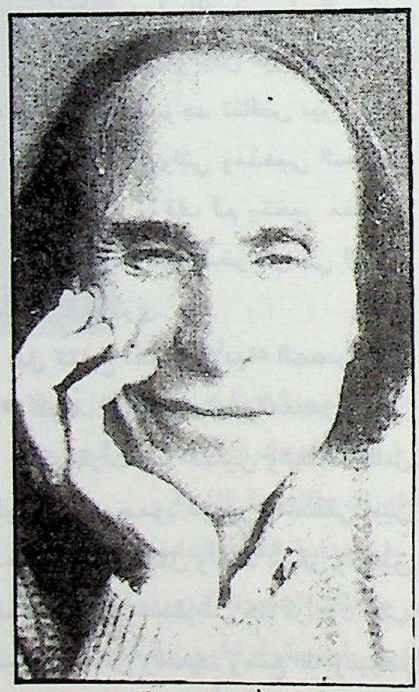

رشيد بوجدرة

محظوراً في الجزائر أنذاك، وقد كانت بلادنا ترزح تحت أعباء الاستعمار الفرنسى، وقد كان أبي حريصاً كل الحرص على أن يتعلم أبناؤه اللغة الوطنية، فقضيت هكذا طفولتي أتلقن مبادىء اللغة العربية بطريقة تكاد تكون سرية واللغة الفرنسية، أزاولها رسمياً داخل المؤسسات التعليمية الفرنسية وكانت ظروف العمل التجاري تضطر والدى إلى التنقل من بلد إلى آخر ومنها على الأخص بلدان البحر الأبيض المتوسط بما فيها تونس في نهاية المرحلة الابتدائية حرصاً منه على متابعتى تعليم اللغة العربية.

والمغرب ومصر، ولذا فقد قرر ارسالي إلى تونس وفي تونس حصلت على شهادة البكالوريا، وفي هذا الوقت كانت حرب التحرير وكنت أنذاك في السابعة عشرة فالتحقت بالجيش الجزائري ودام نشاطى متواصلاً حتى عام ١٩٦٢، وفي نفس العام التحقت بالجامعة وتخرجت وعينت أستاذاً للفلسفة باحدى المدارس الثانوية، وفي عام ١٩٦٩ سافرت إلى باريس حاملاً في حقيبتى مخطوط روايتى الأولى (الانكار).

*** كيف اتخذت قرارك للكتابة باللغة العربية خاصة بعد نجاحك الكبير في فرنسا؟.**

** دفعنى إلى هذا القرار عدة عوامل هي: نهاية التزامى بالعقد الذى كان يربطنى بدار النشر الفرنسية والذى الزمني كتابة ست روايات باللغة الفرنسية وما إن أنعتقت من قيود العقد حتى عكفت على روايتى السابعة باللغة العربية ..

ثانياً: ضرورة بلورة الموقف السياسى الذي اتخذته ..إذ إننى أرى (الفرنكوفونية) ما هي إلا استعمار جديد مقنع وامبريالية

ثقافية مغطرسة خاصة أن الجزائر استرجعت هويتها العربية المسلوبة من خلال تعريب شامل وكامل وقد أصبح القراء الآن أغلبية يطالعون ما يكتب بالعربية..

ثالثاً: الرغبة النفسية الفياضة التى كانت تداهمنى كلما شرعت اكتب رواية .. انها رغبة ملحة تحثنى على ترك العنان للغة العربية فأتمكن من صب كل همى وغم الانسان العربي في هذا المصب الذى نطلق عليه اسم «الرواية» وتلك الرغبة هي رغبة الشغف والعشق بالمعنى الصوفى من الكلمة كما جاء في كتاب الفتوحات الملكية لابن عربي، «ان بين اللوح والقلم علاقة عشقية».

*** ماذا كان رد الفعل ازاء هذا التحول؟.**

** أكثر انتقالي من الفرنسية إلى العربية - رغم نجاحى - أكثر من أعدائى إذ اننى أصبحت عرضة لغيرة الغائرين لبعض الكتاب الجزائرين على حد قولهم قد خنت اللغة الفرنسية (أي نعم؟) وقد تجاهل بعض الأشخاص أن عودتى إلى العربية نابعة من موقف خاص لما يتصل بالرواية العربية عامة. وأنى أكتب الآن بالعربية وأود أن تكون الرواية الجديدة رواية جريئة إلى أقصى الحدود.

*** تتحدث كثيراً عن الذاتية على الرغم من أنك مناضل ولك تاريخ سياسى طويل؟ حدثنا عن العلاقة بين الأدب والواقع؟.**

** لعل الموضوع يمتد إلى العلاقة بين الأدب والسياسة أكثر مما يتصل بالعلاقة بين الأدب والواقع، ولذلك فأنا أنطلق من فكرة مفادها أن كل شيء سياسى وكل شيء سياسة. أي أن كل عمل انساني هو بالدرجة الأولى عمل سياسى .. ولكن تعريف الأدب بكونه سياسة ليس إلا فانما يعنى حصره في زوايا ضيقة وافراغه من كيانه الخاص ومن معناه الداخلي ومنطقه الانسجامي، وفي الوقت الذى نجد فيه معنى سياسة يتخلل أشهر المؤلفات وأبعدها مغزى فاننا ندرك أن ما تنطوي عليه من محاسن متميزة تميزها عن سواها فهي كامنة في تمكنها هو اتخاذ مواقف مضادة تناوىء كل ما هو مجازى ونموذجى وعادى وعلى كل عمل أدبى أن يعمل محاولاً ايقاظ الصورة المتينة التى سبقته وتقليب ما ترسخ في الأذهان من صور مألوفة وبالية طال بقاءها.

أما عن الذاتية فهي أيضاً تنطلق من فكرة بسيطة مفادها أن الأدب هو هاجس الشخص الذى يكتب، كما أن كل كاتب هاجسه الخاص أو الأساسى او المركزي والذى يختلف عن هواجس غيره من الكتاب. وبناء عليه فلا يوجد تناقض بين موقفى هذا من الأدب الروائي ومذهبى السياسى المعروف وهو موقف لم يتغير منذ عام ١٩٦٢م أي منذ عام انخراطى في الحزب الشيوعى الجزائرى.

*** هل تتابع أعمال الأدباء المصريين؟**

** طبعاً.. التقليدي منها والمعاصر..

لقد قرأت طه حسين والعقاد وكامل الكيلانى، ومحمود تيمور ومصطفى أمين ومحمد حسين هيكل وأحمد شوقى وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ .. كما قرأت .. غالب هلسا والغيطانى والقعيد، وصنع الله وغيرهم .. وأنا من هنا أوجه لوماً ناعماً للاخوة المشارقة لتجاهلهم الأدب المغربى وهذا ما لاحظته أثناء ملاقاتى للأدباء العرب من مصر وسورية والعراق .. فقد أن الأوان لتلك العقدة الصغيرة ان تنحل وهي أن الأدب المغربى لا يستحق الوقوف عنده ...

بمبادرة المركز الجماهيري مسرحية "الزاروب" في شفا عمرو

اكتظت قاعة المركز الجماهيري في شفا عمرو مساء ١٩٩٤/١/٢٩ بالمواطنين الذين حضروا لمشاهدة عرض مسرحية "الزاروب". وهي من تأليف الفنانة سامية قزموز بكري وتمثيلها وفؤاد عوض الذي أخرج المسرحية،وبالصوت الطبيعي (الخالي من المؤثرات الصوتية)، الذي ذكرنا بالمسرح اليوناني القديم. تساءلت الفنانة سامية قزموز في مسرحيتها: عندما تنظر الى بيت الكنفاني في عكا (بيت غسان كنفاني القديم) هل يستطيع القادم الجديد من اليهود ،أن يرى، اذا ما نظر الى نفس "الخرابة"، ما أراه أنا ؟

وزينت القاعة بصور(أسود وأبيض) لأحياء عكا القديمة آثارها وزواريبها كجزء من ديكور المسرحية،كما تميزت بالأخراج المتحرك الحديث وبذلك الأداء المؤثر وتلك الحكايا التي تداخل فيها الزمان والمكان لتصور بهما عمق المأساة الفلسطينية..فشدت المسرحية انتباه الجمهور الشفاعمري الذي تفاعل معها.

ومن الجدير ذكره أن مسرحية "الزاروب" قد عرضت في بعض العواصم العالمية (جنيف- واشنطن - والقاهرة)الى جانب العروض التي قدمت في العديد من المدن والقرى في البلاد وفي المناطق المحتلة.

وعلم أن الفنانة سامية قزموز في طور الأعداد لعمل فني جديد لكنها تجنبت الحديث،في هذه المرحلة،عن تفاصيل واسم هذا العمل .

هل بدأ العد العكسي لنهاية الهجرة الى الولايات المتحدة؟

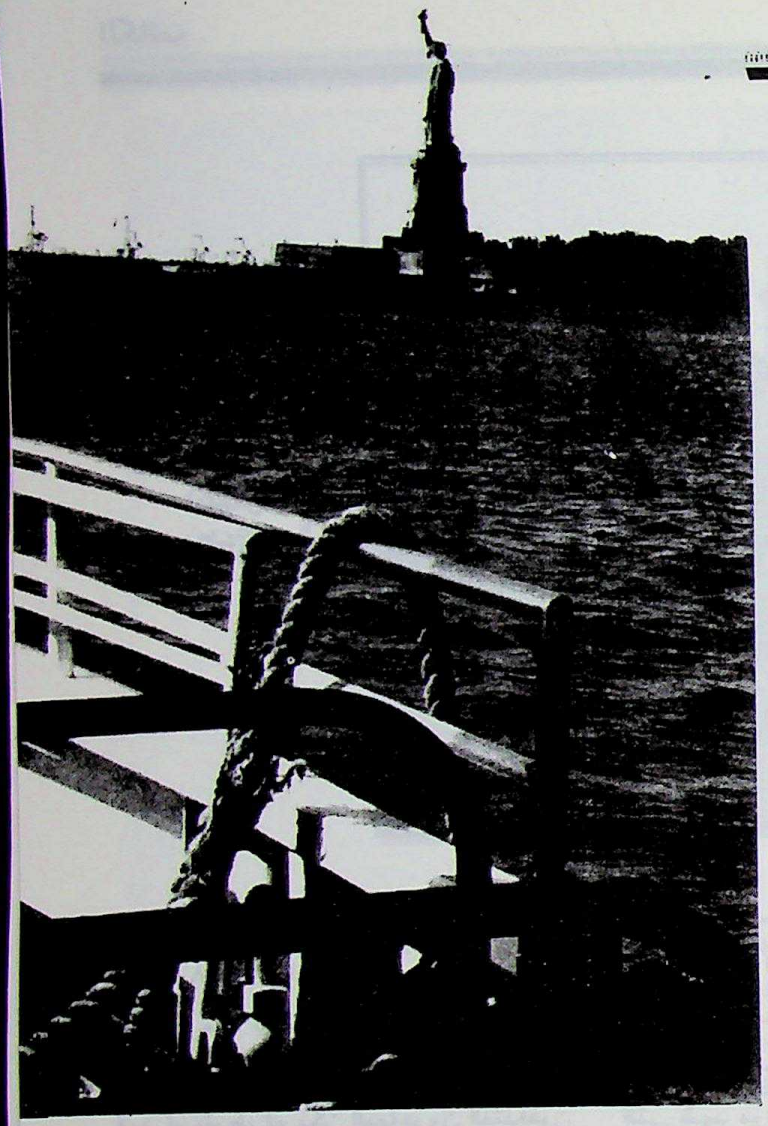

وعود الحرية والثروة تأفل مع تصاعد البطالة والجريمة والتسلل

جاد الحاج

هل انتهى زمن الهجرة الى اميركا؟ وتلك السيدة، حاملة المشعل على مدخل مرفأ نيويورك، رمز الحرية والحفاوة الى العالم الجديد هل ابتلعت كلماتها التاريخية المحفورة على الرخام: «تعالوا إلي إيها المتعبون، أيها الفقراء أيتها الجماهير المختنقة التواقة الى هواء الحرية» ... بعد أسابيع معدودة يكون مر عل ذلك الوعد مئة عام وعام، وأربعون عاماً على اغلاق محطة وصول المهاجرين الشهيرة في إيليس أيلاند. كما يتوقع المراقبون وتشير مؤشرات السياسة الاميركية الى ان الهجرة الى الولايات المتحدة ادركت حدّها الفاصل بعدما تعاظم عدد الاصوات المطالبة بوقفها، خصوصاً إثر استفحال أزمة المهاجرين المخالفين والمتسللين عبر الحدود المكسيكية واستشراء البطالة وبلوغ عدد اللامنازل لهم ١٢ مليوناً في طول البلاد وعرضها، ناهيك عن جنون الجريمة والمخدرات والاسلحة النارية ..

في بداية القرن السابع عشر تحركت أولى موجات الهجرة الاوروبية الى العالم الجديد. اريستوقراطيون انكليز. جنود ايرلنديون. مثقفون ألمان. حرفيون من فرنسا وهولندا وسويسرا. يونانيون، روس. سلافيون من جنوب شرق اوروبا. بلغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين قبيل اندلاع الثورة الاميركية، فقبل ان تصبح الولايات المتحدة دولة موحدة، مستقلة، كانت قبل كل شيء بوتقة شعوب وكان الوعد بالحرية والثروة سابقاً لارتفاع المشعل في يد السيدة الكبيرة على مدخل نيويورك.

في الحقبة الاولى بعد الثورة لم يصل الى الولايات المتحدة سوى خمسة آلاف مهاجر، إلا ان العدد أخذ بالارتفاع سريعاً، ومع انقضاء القرن الثامن عشر ارتفع العدد السنوي الى ١٥٠ الفاً، لكنه في السنوات القليلة اللاحقة نشب الى حوالي مليونين، فبعد انقضاء الحروب النابوليونية وكارثة المجاعة الكبرى في ايرلندا اضافة الى التغييرات الريفية والرعوية في اوروبا إثر بدء الثورة الصناعية، نزحت أعداد كبيرة الى المدن، فالمرافىء متجهة الى «أرض الميعاد الجديدة».

ومنذ البداية تقرر ان تتحمل كل ولاية مسؤولياتها المنفصلة نسبة الى المهاجرين فلم يصدر قانون فيديرالي على هذا الصعيد إلا عام ١٨١٩، ليؤكد، ببساطة ضرورة المحافظة على سجلات قيد الوافدين، اضافة الى تنظيم حركية وصول المراكب ورسوها وما إليه، حتى التعديلات

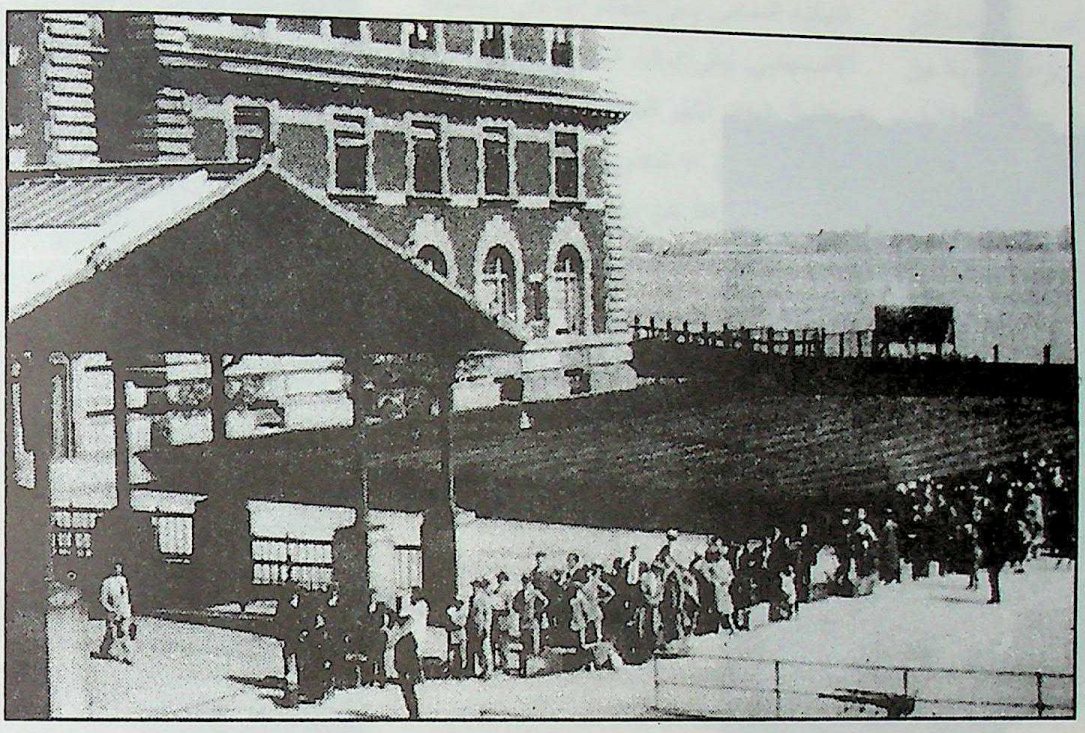

الوصول الى ايليس ايلاند

التي أدخلت على القانون في عامي ١٩٤٧و١٩٤٨ طاولت الشؤون البحرية دون غيرها، مما يعني ان الهجرة الى الولايات المتحدة أنفتحت على مصراعيها من دون قيد او شرط، لم يكن المهاجرون المتدفقون من جهات الارض الاربع يخضعون لأكثر من فحص طبي يرسل على اثره المصابون بالاوبئة الى مصحات او يحفظون في كرنتينا مرفأية ريثما يبلون.

مع منتصف القرن التاسع عشر بلغ عدد الوافدين يومياً ألف مهاجر وبات حتمياً وضع قوانين اتحادية لتنظيم الهجرة، فكان الاجراء الاول فرض أتاوة مقدراها ٥٠ سنتاً على كل وافد جديد وتوحيد الشروط ومواصفات الدخول في كل الرافىء ونقاط الحدود باشراف فيديرالي. الا ان العبور الى أرض الاحلام لم يعد في سهولة ما كان عليه، فمع اكتظاظ السفن وتنوع الاثنيات بدأت الامور تتعقد على صعيدين: اللغة والامراض. تأسس مكتب فيديرالي للهجرة تمهيداً لسن القوانين المناسبة. وفي ١٨ نيسان (ابريل) ١٨٩٠ اغلقت محطة كاسل غاردن التي استوعبت افواج الوافدين الاوائل وبدأ التفكير الرسمي يتجه جدياً الى البحث عن مكان بديل يصلح محطة او عتبة لوصول المهاجرين خصوصاً الى نيويورك التي شهد مرفأها رسو اكبر عدد من السفن المحملة بشراً في التاريخ المعاصر.

في تلك الاثناء وقبل أربع سنوات من مواجهة الأزمة ارتفع في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٨٦ تمثال الحرية على شاطىء جزيرة بيدلو صممه النحات الفرنسي فريديرك اوغست بارتولدى وأهدته فرنسا الى الولايات المتحدة عربون صداقة وتأكيد على الديموقراطية. وأراد فريق في الادارة الاميركية، على رأسهم وزير الخزانة، تشييد محطة استقبال المهاجرين على الجزيرة نفسها، الا ان الاقتراح لقي معارضة شديدة خصوصاً لدى النحات الفرنسى بقوله: «أنها خطة وحشية». اخيراً وقع الاختيار على حصن ومخزن سابق للاسلحة في ايليس ايلاند على بعد نصف ميل من التمثال. الا ان المبنى الذي شهد اكبر حركة هجرة منظمة في القرنين المنصرمين تشكل من حجارة الحصن متحولاً الى مجمع ضخم طوله ٤٠٠ قدم وعرضه ١٥٠ قدماً، من أربعة طوابق وأربعة أبراج على الزوايا، واحتوى قاعات للحقائب في الطابق الارضي، وقاعة كبرى للاستقبال، كما الحقت به مطاعم ومطابخ ومستشفيات ومحطة تحويل كهربائي ومنامات. وجرى افتتاحة في بداية كانون الثاني (يناير) عام ١٨٩٢ بعدما بلغت تكاليفة ومصاريف تهيئة الجزيرة نصف مليون دولار (وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت).

عام ١٨٩٧ في الرابع عشر من حزيران (يونيو) وبعد مضي دقائق على منتصف الليل، ومن دون سابق انذار، اندلعت في المبنى الخشبي نيران كاسحة اتت عليه في غضون ساعة لا أكثر، فمع طلوع الفجر بات المكان أثراً بعد عين، وللتو صرف الكونغرس ٦٠٠ ألف دولار لاعادة البناء الذي استغرق عامين ونصف. وبقيت ايليس ايلاند محطة استقبال للمهاجرين حتى تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤ عندما بدأ الطيران يحل محل النقل البحري.

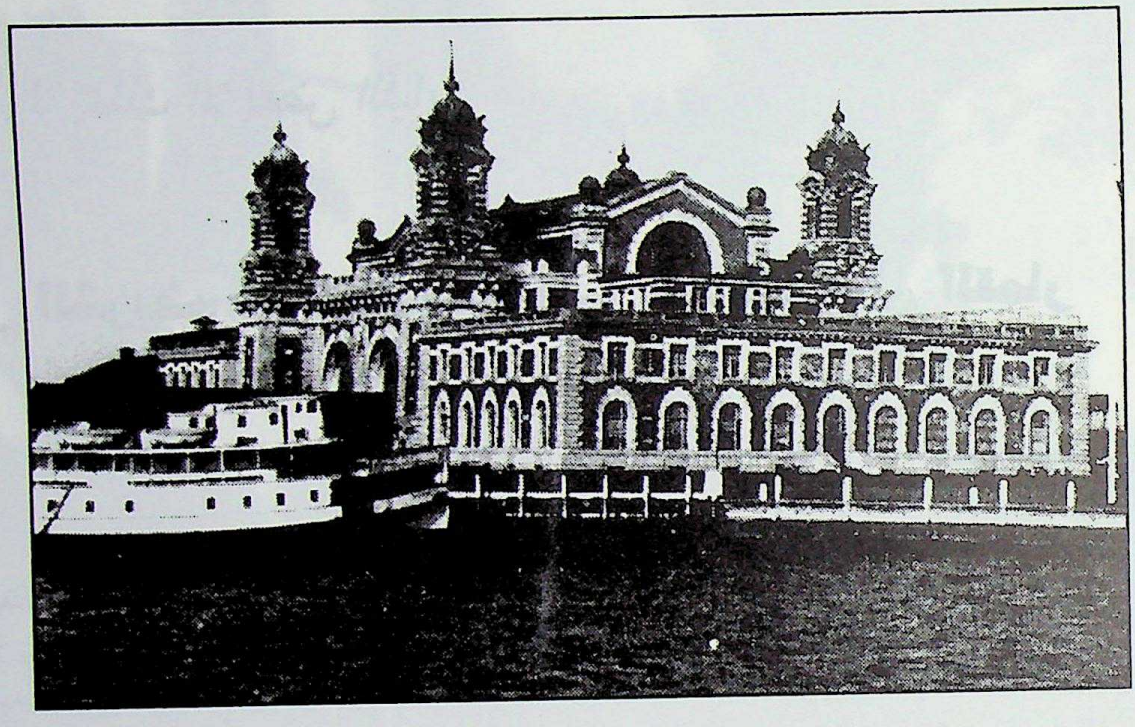

مبنى
استقبال
المهاجرين

ووصل عبرها الى الولايات المتحدة ما لا يقل عن ١٢ مليون مهاجر خضعوا تدريجاً، لتصعيد مطرد في الشروط فجرى ترحيل كثيرين واحتجاز آخرين والتمييز ضد الفقراء والملونين مع الاثرياء والاوروبين. الا ان اغلاقها كان في الدرجة الاولى بداية النهاية للزحف العددي على الولايات المتحدة ومطلع العد العكسي لتضييق مجالات الهجرة الى حدودها الحالية.

في الثمانينات من هذا القرن دخل الى الولايات المتحدة حوالي سبعة ملايين ونصف مليون مهاجر معظمهم من العالم الثالث و٤٠ في المئة منهم آسيويون. ومن بين مليونين و ٢٠٠ الف مكسيكي تركوا بلادهم ٩٩ في المئة انتهوا في الولايات المتحدة. الحرب اللبنانية، تفك الكتلة الاشتراكية، التضخم الفادح في اميركا الجنوبية، الزحف الاصفر، رفع العدد الى ١٣ مليوناً منذ ١٩٩٠ نسبة اللاقانونيين بينهم مرتفعة وتكاليف مطاردة هؤلاء وترحيلهم تقع على كاهل دافع الضرائب الاميركي الذي اوصل صوته المتذمر الغاضب الى قبة الكونغرس وبدأت الاصداء تتردد عالية في وسائل الاعلام مطالبة بوضع حد نهائي للهجرة. ولعل من يتابع حركية طرح المشاريع واتخاذ القرارات على الطريقة الاميركية يدرك بما لا يقبل الشك ان العد العكسي لأي تغيير جوهري كهذا يبدأ عادة بحملة «تلقيم» اعلامية مركزة من شأنها تهيئة الرأي العام (او غسل دماغه) قبل طرح المسألة رسمياً على الكونغرس، وهذا ما يحصل حالياً بالنسبة الى الهجرة.

يعيش مفلساً ولا يملك الا بعض الثياب

عمر الشريف: لو وجدت الحب لما لجأت الى القمار

عبد اللطيف خاطر

اعلن عمر الشريف انه يعيش الآن بلا مال ولا حب، وانه لا يمتلك شيئاً سوى بعض الملابس، بل ويعيش وحيداً مفلساً ... والسبب في ذلك هو حياته الطائشة وغير المنظمة وعدم هجره للقمار حتى انه خسر في ليلة واحدة ٧٥٠ الف جنيه استرليني.

جاء ذلك في حديث لعمر الشريف، بدأه بالقول: «لقد اسرفت على موائد القمار لانه كان الوسيلة الوحيدة لملء الفراغ بين فيلم وآخر .. اتخذته وسيلة لنسيان الاحزان، ولكنني وجدت نفسي بعد ذلك غير قادر على التوقف عنه، وكان من الممكن ان يسيز كل شيء مختلفاً لو وجدت المرأة المناسبة التي استقر معها. ولو كنت وجدت الحب الحقيقي في حياتي لم لجأت الى موائد القمار وساحات سباق الخيل.

لقد طلبت اكثر من مرة من وكيل اعمالي قبول اي دور، لانني لست كبعض النجوم الآخرين الذين اعرفهم مثل مايكل شين او شون كونري او ريتشارد غير .. لقد صنع اولئك اسطورتهم واعتمدوا عليها لانهم اهتموا باسمائهم وجمهورهم، وانا لم استطع التخطيط لمستقبلي ولم اشاركهم طبيعتهم والآن: أشعر أنني مضطر للعمل حتى يبقى رأسي فوق الماء وحتى استمر على قيد الحياة».

امرأة واحدة في حياتي

ويضيف عمر الشريف: «لقد عملت ٤١ عاماً واعتبر نفسي محظوظاً جداً .. لقد سعدت بكل لحظة اعطتها لي الحياة ولم انظر الى الخلف ولو لمرة واحدة، حتى انني لا املك اشرطة فيديو للافلام التي قدمتها لي السينما ولا املك البوما للصور الخاصة. لقد كان في حياتي لحظات عظيمة، منها مشاركتي في فيلم (لورانس العرب) وتمثلي دور (الدكتور زيفاجو) وليس كل ما قدمته كان هابطاً. وعلاقاتي الغرامية تدخل في نطاق الاسطورة لان كل الجميلات اللاتي انجذبن نحوي كن مبهورات بالشخصيات التي قدمتها على الشاشة ولم يكن الاعجاب او الانبهار بشخصيتي. والآن لا توجد في حياتي سوى امرأة واحدة هي «بيبتا» مدبرة منزلي، والتي تعمل معي منذ ٢٧ عاماً».

ويواصل عمر الشريف الحديث بقوله: «يخطىء من يظن ان حياتي في باريس كانت عسلاً مصفى. فيكفيني مرارة الغربة والبعد عن الاهل والخلان .. التجربة كانت شاقة، فضلاً عن اخطاء اهمها انني وقعت عقداً مدته ٧ سنوات في بداية حياتي الفنية مع استوديو شهير في هوليوود، وبمقتضاه كنت اشارك في تقديم افلام لا احبها، ولم يكن بوسعي الرفض. ولقد مررت بعدة ازمات وعشت اياماً كنت لا استطيع خلالها دفع فاتورة الكهرباء او الهاتف. وفي هذه الاثناء عرض علي المشاركة في فيلم (اشنتي) وتم تصويره بين سنتي ١٩٧٥،١٩٧٩، وقد وافقت بعد ضغوط، وكان مقرراً ان يبدأ التصوير في المغرب، وفي آخر لحظة قال المنتج ان التصوير سيكون في اسرائيل، فكان الرفض من جانبي، وكان رده بأنني سأذهب طبقاً لنصوص العقد الذي وقعته معه، فضلاً عن انه سيضع اسمي وصورتي على اللافتات. ونتيجة اصراري اسند الدور الى ممثل هندي، وطلب مني القيام بأي دور صغير حتى يكون صادقاً مع الجمهور. وفعلاً وافقت امام هذا الحل الوسط، وتم تصوير احد المشاهد في مدينة باليرمو الايطالية:

«لقد ظلمني الكثير وشككوا في اعز شيء، وهو انتمائي لوطني وبلدي مصر، والقضية انتهت الآن ولكني لن انسى مرارة تلك الايام وقسوتها. فقد كانت حالكة لافتراء البعض علي. واسمح لي ان اقول انه عندما وضع المنتجون العرب رؤوس اموالهم في انتاج افلام عالمية كبيرة، لماذا لم يعرضوا علي العمل فيها بدلا من مهاجمتي؟

عمر الشريف يصافح الرئيس حسني مبارك وقرينته. ويبدو وزير الخارجية الامريكي الاسبق جورج شولتز في الوسط (صورة من الارشيف).

وللعلم، لم اطلب اي دور رئيسي، ولكن لا يعقل ان اكون انا العربي الوحيد الذي يقوم بأي دور في هذه الافلام بينما يعطى دور البطولة الى انطوني كوين في فيلم (الرسالة).

«وما أثار دهشتي هو اعتراض البعض على الاعلانات التي اقدمها الى التلفزيون الفرنسي، وهم لا يدرون انني لا اريد ان اعيش عبئاً على احد، ولكنني افضل كسب قوت يومي من عرق جبيني، وما دام ليس هناك عمل فني، فما العيب في ان اشترك في اعلانات عن سباق الخيل الذي اعتبره بحق من احب الهوايات الى قلبي».

وعن تجربته في السينما العالمية، قال عمر الشريف: «ان السعادة في الحياة هي الا نتمنى اكثر ما ينبغي. وخير للممثل ان يكون كبيراً في بلده من ان يكون صغيراً وضعيفاً في مجال آخر. وكلمة (العالمية) التي يسعد بها البعض لا اجد لها معنى .. فعقيدتي ان الفنان الجيد في بلده والناجح محلياً هو فنان عالمي، وليس من الضروري ان يلف العالم ويشترك في أفلام أوروبية لكي يصبح نجماً عالمياً، وحياتي ليست ناجحة كما يعتقد البعض، ولا انكر انني عرفت المجد وحفرت سمعتي واسمي بأظافري. وعموماً كانت تجربتي قاسية، ويكفي انها مزقت اواصر ورباط الزوجية بيني وبين الفنانة فاتن حمامة وانتهت حياتي الاسرية واضطررت لوضع ابني في مدارس داخلية لانه لا يعقل ان اصطحبه معي في كل سفرياتي. وقد عشت فترة طويلة اتنقل بين الفنادق دون حد ادنى من الاستقرار، فضلاً عن عدم استطاعتي اقامة صداقة حميمة، ولم استطع الزواج ثانية لان الزواج من اجنبية مستحيل لدرجة انني تعودت على العيش بمفردي وصادقت الوحدة وبات على انسان مثلي خط الشيب مفرقه ان يقتسم حياته مع اي انسان آخر فضلاً عن قرار في اعماقي باعتزال السينما».

فيلم "منزل الارواح" لبيلي اوغست

التقاطع بين رواية كتبتها امرأة وفيلم اخرجه رجل

سلمان الخالد

في عام ١٩٨١ صدرت رواية "منزل الارواح" للروائية التشيلية ايزابيل الليندي، وكانت اولى رواياتها، واعتبرها النقاد تنتمي الى منهج "الواقعية الخيالية".

ومنزل الارواح (حوليات اقرباء الروائية) تتناول عائلتي ديل فال وترويبا منذ بدايات القرن العشرين وحتى الانقلاب العسكري في تشيلي عام ١٩٧٣.

وايزابيل الليندي تمت بصلة قرابة الى الرئيس التشيلي الراحل الليندي الرئيس الشرعي المنتخب ديمقراطيا والذي اطيح به بانقلاب عسكري دموي قام به الجنرال بينوشيه عام ١٩٧٣. وقد تركت الروائية بلدها تشيلي عشية الانقلاب، لتستقر منذ ست سنوات في كاليفورنيا (الولايات المتحدة)، بعد قضاء سنوات عديدة في بلدان اخرى، وهي متزوجة من المحامي الامريكي وليام غوردن.

وفي المقابلة التي اجرتها معها جريدة D.N. السويدية الواسعة الانتشار في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي تقول ايزابيل الليندي:

"الحدود بين القصيدة والواقع انمحت من حياتي. احيانا حينما اكتب اظن اني اختلق اشياء .. ولكن فيما بعد يبدو ان هذه الاشياء تجري في الواقع، ربما هذا ما عاشته ام امي .."

وايزابيل الليندي منكبة حاليا على كتابة الرواية (الامريكية) الثانية بعد روايتها الاولى وهي بعنوان "الخطة اللانهائية". ورغم انها تتحدث اللغة الانكليزية بطلاقة، الا انها لا تزال تكتب بلغتها الاصلية، الاسبانية. وعن هذا تعلق:

"انا اكتب من اعماقي، والا فأني لن اعثر على ظلال الفروق الدقيقة، ولكن رواية الخطة النهائية من المفروض ان تكتب باللغة الانكليزية، لأن فيها الكثير من كلمات اللهجة التي استخدمت في حرب فيتنام التي ليس لها مقابل في اللغة الاسبانية، وتتحدث الرواية من وجهة نظر رجل ابيض، عن الامريكيين الوحيدين اللذين لم يعيشا العنصرية".

وايزابيل تعتبر ان النساء في حياتها كانت لهن اهمية كبيرة، وتأثير فعال وخاصة جدتها لامها كلارا:

"انا تمردت ضد الرجال في مرحلة المراهقة اذ كانوا جدا متسلطين وجدا ابويين. وبعد الانقلاب العسكري اصبح رأيي ان كل انواع التسلط تأتي من بنائية رجالية، وانا اشعر بالارتياح في محيط نسائي، حيث هناك مشاركة، يمكن ان نضحك وان نبكي، حيث يختفي التسلسل الهرمي، ولا نحتاج ان نقيس انفسنا باتجاه بعضنا البعض".

ورغم نجاح ايزابيل الليندي الادبي، وحياتها الزوجية السعيدة، الا ان المأساة الشخصية - وليست فقط المأساة الشخصية لشخوص رواياتها - دقت باب منزلها. ففي الشتاء الماضي توفيت ابنتها باولا البالغة من العمر ٢٩ عاما بعد عام كامل من غيبوبة عميقة في بيت الروائية.

وحول هذا الحدث الجسيم تقول:

"امي عند زيارتي جلبت معها رسائلي المئة التي كتبتها لها في السنة الاخيرة في حياة باولا .. وقالت لي: "اقرأي رسائلك وعيشي الألم مرة اخرى. ان هذا مؤلم، لكن في حياتي الالم مهم كالسعادة. وهناك كلمة باللغة الاسبانية هي Chispitaوتعني "ومضة صغيرة". هذه الومضة الصغيرة، تضيء عالما كاملا من الظلام، وتجعلنا نرى في العتمة"!

والسؤال هو: هل اقترب او ابتعد فيلم "منزل الارواح" من الرواية ومن الرسالة الروحية التي كتبتها ايزابيل الليندي منذ اثني عشر عاما الى ام امها الميتة وذكرياتها في منزل الارواح؟

الفيلم من النتاج الامريكي الالماني البرتغالي المشترك، ويشارك فيه حشد من النجوم المشهورين. فميريل ستريب تؤدي دور كلارا، وغلن كلوز تقوم بدور فيرولا، وجيرمي ايرونز بدور استيبان ترويبا،

فيرجيل ستريب وغلين كلوز في لقطة من فيلم "منزل الارواح"

وابنة استيبان بلانكا تؤديه فيونا رايدر التي قامت ببطولة فيلم "عصر البراءة" للمخرج الامريكي سكورسيزي، وحبيبها في منزل الارواح يؤديه الاسباني انتونيو بانديراس.

والحكاية تتحدث عن استيبان ترويبا .. الرجل الفقير الذي حصل على ثروة كبيرة من خلال البحث عن الذهب، وهو في منتصف العمر يتزوج من فتاة شابة ومن عائلة غنية اسمها كلارا. وينتقلان الى املاكه واطيانه الشاسعة، التي يعمل فيها الكثير من الفلاحين الذين بمرور الزمن يتحولون الى متمردين.

استيبان وكلارا يرزقان ببنت بلانكا التي تقع في حب ابن فلاح من اصل هندي - امريكي، بيدرو الذي يعتنق افكارا ثورية.

وفي خلفية الاحداث .. ظلال انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات برئاسة الليندي تم الانقلاب العسكري لبينوشيه.

ويمكن القول ان الشخصية الرئيسية في الرواية هي كلارا... وربما ترمز كلارا الى تشيلي بذاتها. ولكن المخرج بيل اوغست، كان تأكيده على استيبان ترويبا، الذي يمتلك بعض الغموض في شخصيته، او بعض الاسرار، والذي اضطهد اخته فيدولا ولم يعترف بابنه غير الشرعي من فتاة فلاحة.

ومع مرور الوقت في الفيلم، تنمو هذه الصورة الشخصية لاستيبان: المتسلط، الابوي (البطريركي).

ورغم الديكورات التي تبدو وكأنها معارض فنية! حيث تنقل المشاهد الى بيئة الطبقات الغنية في تشيلي، والتي اشرفت عليها آنا آسب، والعديد من اللقطات الموفقة لكاميرا، يورغيس بيرسون، والموسيقى التصويرية لهانس زيمرس الذي لم يكن موفقاً دائماً في موسيقاه للتعبير عن وقائع الفيلم.. الذي طوله ساعتان ونصف الساعة لكي يتسع الى فترة زمنية طويلة، وشخصيات واحداث عديدة تم صقلها لتسير باتجاه واحد بلا انعطافات، فالاحداث المهمة، والعاطفة الشخصية قد تم تبسيطها، ولذلك لم يكن من السهل التوصل الى اعماق الشخصيات وتعاملها مع حياتها لنشعر مع هذه الشخصيات ونفهم ماذا يريد ان يتحدث به الينا الفيلم. فالممثلون مثلاً يمارسون ادوارهم بحرفية عالية، ولكن هناك مسافة وستاراً شفافاً غير مرئي بينهم وبين المشاهد، والى ما قبل ختام الفيلم حيث تصبح الشخوص حميمية الوجوه وتبدأ في التفاعل مع حياتها ومصائرها.

واذا كانت الرواية واقعية خيالية، فقد تم وبادراك اخفات كل ما هو روحي وفوق طبيعي في الفيلم. فالطقوس الروحية لكلارا وقدراتها على الرؤية لم يتبق منها الا القليل في الفيلم. كما أن المخرج يقدم مادته بشكل محسوب بدلاً من ترجمتها او تحليلها.

والاستنتاج: ان رواية لكاتبة من العالم الثالث ومن قارة امريكا اللاتينية المفعمة بتاريخها الغني ذي المنعطفات الحادة، والاحداث الدموية الجسيمة تحولت الى فيلم لمخرج وممثلين وفنيين من الولايات المتحدة وأوروبا... يعيشون تاريخ واحداث، ولنقل روح القارة من الخارج، ولا يمكن من خلال فيلم «منزل الأرواح» رغم الاحتراف والموهبة التغلغل في اعماق روح هذه القارة.

ويمكن في هذا السياق ان نستعيد تعليق الناقد السينمائي السويدي بو لودفيغسون: «ارواح فقيرة في منزل للنجوم».

الخرج الامامي

محمد عبد الله البيتاوي

جلس المَلت بن الصلخدم في صحن الدار، ينظر لما حل بها من خراب ودمار، فنما الحزن في قلبه حتى أينع ثمر الحنظل، فاستحلب المرارة والحسرة، ليتجرع الألم، وإذ بالسؤال يُطل من رأسه المصدوع كحية رقطاء: "أيمكن أن تظل الحكمة، وتتيه الحقيقية وسط طوفان الحقد والغل والحسد؟".

عبثت قسوة السؤال بقدرته على إستقراء الإحداث، فاخضر اليأس في صدره، وعشعشت الكآبة في قلبه، فاسودت الدنيا أمام عينيه، فقام لا يلوي على شيء....

من كان يصدق أن الأهل والأصدقاء، سوف يهجرونه ويتخلون عنه، بعد أن كانوا لا يأتنسون إلا به وبرأيه، ولا يسترشدون إلا بأقواله، ولا يطمئنون إلا بقربه؟!

وإذا كان هجرهم له، وتخليهم عنه، قد أحدث شرخاً في قلبه، فان هجر زوجته له، وإنقيادها لرغبات المختار وأوامره، قد أصابه باحباط وحسرو... لقد كان على يقين من أن العالم كله لو تخلى عنه، لبقيت إلى جانبه تشد أزره، وتدعم خطاه... ولكن لماذا آثرت أن تكذب سمعها وبصرها، وتصدق ما أشيع عنه من إفترائات وترهات - رغم أنها كانت الشاهد الوحيد على كل ما حدث، وجرى له؟ ولما لم يجد إجابة للسؤال، إمتلأت نفسه مرارة وحسرة، وأطبق عليه حزن عميق... وأمضى أياماً لا يحسد عليها.... فلقد أثار إنضمامها إلى خصومه وأعدائه الكثير الكثير من علامات الأستفهام حول مصداقية كل ما يدعيه من وقائع وأحداث، والتي بدت بموقفها منه أقرب إلى الأكاذيب والادعاءات الفارغة... وراحوا يجترحون له ماضياً لا يمكن أن يلد إلا مستقبلاً مظلماً...

وتحامل على آلامه وأحزانه، وهمّ بترميم ما أفسدوا، فانبرى له المختار وجلاوزته مهددين متوعدين... ولما باتت العين بصيرة، واليد قصيرة، انحنى للعاصفة، وقد امتلأ غضباً ونقمة... وفي العتمة، لاح بريق خافت، تسلل من بين الزوايا الخلفية للذاكرة، فباتت ظلال بعض الأحداث التي طُمرت بفعل قوة الضوء المركزة على بؤر أحداث أخرى أريد لها خطف الأبصار، واستقطاب الأسماع، لتحظى بالاهتمام الأكبر، رغم قلة شأنها، ولتحجب الأضواء عن أحداث أكثر أهمية، أريد لها أن تختفي حتى لا تثير العديد من الأسئلة، فيثار بها الشك في مشروعية كل ما حدث...

وتنهد بحزن عميق، وأرخى أهدابه، وإذ بأحداث الماضي تمتزج بأحداث الحاضر في رأسه، فازدحمت الذاكرة بالصور الزاهية الرطبة، فامتزجت ألوانها حتى آلمت إلى اللون الأسود، فازداد كآبة... ولكن فجأة... انبلجت صورة من أعماق الماضي، بدت - للوهلة الأولى - باهتة شاحبة، ولكن سرعان ما انزاح عنها غبار السنين... فأعادته الذكريات إلى الماضي البعيد...

فهذا جده - الصلخدم الكبير - يجلس في صدر الديوان في مهابة ووقار، يستمع إلى مشاكل القوم وهمومهم وقضاياهم المُلحة تارة، ويحدثهم في شؤون الدنيا والآخرة تارة أُخرى... ورغم انه كان كبير القوم وسيدهم، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة فيهم، إلا أنه كان أرحم بهم من أنفسهم، فكان يستمع إلى صغيرهم وكبيرهم، رغم ما قد يعرض في أحاديثهم - في الكثير من الأحيان - من تفاهات وسخافات وغالباً ما كانوا يعرضون قضاياهم بخشونة كخشونة أيديهم التي شققتها المعاول، إلا ان البسمة الرقيقة الحانية لم تكن تفارق شفتيه في اي حال من الأحوال...

وكان «الخرنوس» جدّ المختار، لا يجد له مكاناً في الديوان إلا عند العتبة، مع أمثاله من الرعاة والبسطاء، الذين يرون في تصدر الديوان شيئاً اكبر من أحلامهم، وأبعد منالاً من آمالهم التي غالباً ما كانت تنحصر في «غدوة» دسمة ترم عظمهم، أو «خَلَقة» تستر جلدهم، وتقيهم برد الشتاء القارص...

وفي ذلك اليوم، كان الخرنوس يجلس

عند العتبة، منكمشاً على نفسه وهو يبكي في حرقة، فتكدر الجّد لحاله، وقام من مجلسه واقترب منه، فربت على كتفه في رفق، وهو يقول في إشفاق:

- يا ولدي، قل ما بك ولا تخشى أحداً وانت في مجلسي...

- زوجتي يا مولاي... لم يعد يعجبها عجب ولا الصيام في رجب..

قال ذلك وهو ينشج، ثم تمخط في ذيل «درعتيه» قبل أن يردف:

- إنّها تريد الطلاق يا مولاي... يبدو أن أحدهم قد أمال رأسها...

- والأولاد...

- أنت تعرف أن اليد قصيرة، والعين بصيرة، وطلباتها لها أول وليس لها آخر...

- أخشى أن تكون طلباتك أكثر...

- أبداً يا مولاي... أنا أقبل برغيف «حاف»، ولكنها لا تأكل إلا «بغموس»... وتفكر الجد وهو عائد للجلوس في دكانه في صدر الديوان... وما أن جلس، حتى قال:

- لك مني عنزة حلاّبة، لعل هذا يُصلح الحال...

ولهج الكل بالدعاء للجد بطول العمر وحسن الختام، ثم ساد صمت قصير، قبل أن يتنحنح الجد ثم يتجشأ.. وعدل من جلسته... ثم قال بصوت تسلل إلى عقول سامعيه وقلوبهم:

- سوف أروي لكم اليوم حكاية الخرج الأمامي...

فاستأثر الاهتمام بسامعيه، وأنتتر أحدهم مكانه، يهتف في لهفة وهو شبه مُقع:

- أتحفنا يا مولانا...

وحاول أحدهم أن يُظهر لجاره، مدى معرفته، وتميزه، فهمس في أذنه:

- أراهنك على أن شيخنا سوف يحكي لنا حكاية خرج أبي النواس و «الست» زبيدة زوجة الرشيد...

- أنا عارف إنك «فلهوي»...

فزجرهما الجالسون إلى جوارهما بنظرات قاسية... واستأنف الجد حديثه في هدوء يغلفه الوقار:

- الخرج كما تعلمون جميعاً، هو ذلك الوعاء الذي نضعه على ظهور دوابنا في حلّنا وترحالنا... وقد نضطر أحياناً لالقائه على كواهلنا لسبب أو لأخر... وكثيرون منا يحفظون فيه أموالهم، وما غلا من متاعهم في أسفارهم... غير أن النساء قد دأبن على استعماله لغرض آخر تماماً.. فهن يحتفظن فيه بما يلقينه من سيئات وحسنات، وبخاصة من أزواجهن... ولأن السيئات والحسنات لا تنتهي بحال من الأحوال، ما دام هناك أخذ وعطاء وحياة، لذا فانهن لا ينزلنه عن كواهلهن أبداً، حتى أصبح جزءاً مكملاً لمقومات ومكونات الشخصية عندهن، وبات السلاح الذي يتدرعن به... وقد تعارفن على استعمال شقه الأمامي - المتكىء على صدورهن - للسيئات، وشقه الخلفي - المنسدل في إهمال على ظهورهن - للحسنات التي يلقينها إليه دونما اكتراث، غير عابئات بما قد ينزلق فيها، فتذهب ويذهب خبرها... إلا أنهن خريصات كل الحرص على كل سيئة أو ما قد يندرج في بابها، مهما صَغُر شأنها... وكلما دق الكوز بالجّرة، تغرق الواحدة منهن وتلقي إلى «برّة»... ولذلك فان الرجل الذي يهمل الخرج الأمامي، كثيراً ما يقع في مشاكل ومنغصات هو في غنى عنها...

وصمت الجد، فخيم الصمت على الحضور، وبدا أن أكثرهم قد بدأوا يديرون الأمور برؤوسهم... وطال الصمت إلى أن قطعة أحدهم قائلاً في تردد حيي:

- للمرأة عذرها يا مولانا في ضعفها، ولكن ماذا عن الرجال الذين لا همّ لهم إلا اصطياد أخطاء الآخرين ليلونوها وفق أهوائهم...

فاصفرت الابتسامة بين شفتي الجد وهو يقول بصوت أسيف:

- هنا تكمن المصيبة... فالرجل بخرج أمامي يصبح إنساناً حسوداً حقوداً لا يعرف الخير طريقاً إلى قلبه... إنّه يفقد معنى التسامح والحلم وسعة الصدر... فتباً لرجل يملك ذاكرة نسوية، لا يحفظ للناس إلا السيئات، ومن أبسط معاني الرجولة أن يتجاوزها ويتغاضى عنها...

فتجرأ أحدهم متسائلاً في رهبة:

- ولكن يا مولانا، ما قيمة الرجل بدون ذاكرة؟

- من قال أننا نريد الرجل أن يكون بدون ذاكرة؟ من عنيناهم، هم أولئك الذين يحفظون سيئات الناس، وينسون حسناتهم، وهذا أمر معكوس يسير عكس تيار الحياة، ولا نجده إلا عند النساء... ويجب أن لا يقع فيه الرجال... فمن شيم الرجال أن يحفظوا ود كل من يحسن إليهم ولا يتوقفون طويلاً عند من يسيء إليهم..

وإذ ببريق حاد، ينبعث من أعماق الصلت، أنار مساحة واسعة من ذاكرته. ولم يكن من السهل عليه استيعاب معالم الصورة بنظرة خاطفة... وكان لا بد من أن يتحسس الأمور شيئاً فشيئاً...ولكن ما الجدوى وقد حدث ما حدث، وما شاء الله كان؟

وابتسم في سخرية مريرة وهو يردد المقولة المشهورة: إن أقبلت باض الحمام على الوتد، وإن أدبرت بال الحمار على الأسد... وبين إقبال وإدبار، «قصع الشيطان في قفاه»، فوقعت الفأس في الرأس، فهوي في هاوية الشّرَك، وكانت تلك الصفعة التي هوى بها على صدغ "أم عُريط"، القشة التي قصمت ظهر البعير... وطاش صوابها، فجرت يومذاك مذعورة مسحوقة إلى دار المختار، مستجيرة مستنجدة، وهي تتهم الصلت بأنه قد اقتحم الدار عليها لينيل وطره منها، وعندما استعصت عليه، أراد أخذها عنوة، إلا أنها أفلحت بالفرار من بين مخالبه... وعندما بلغت دعواها مسامع الصلت، ضرب كفاً بكف

وهو يقول في ذهول:

- أي افتراء؟! كيف يمكن أن اجترح سوءاً كهذا وقد كنت برفقة زوجتي؟

إلا ان الضجة والجلبة التي أحدثها جلاوزة المختار، أضاعت صوته وغيبته... وتسارعت الأحداث، وعلا الصراخ... وتناثرت الكلمات الحادة المدببة..

- الموت ولا العار...

- هزلت...

- لم يبن إلا الصُيّع الضيع...

وفي بيت المختار، أشاح المختار بوجهه عن المتجمهرين حتى لا يلحظ أي منهم انفراد أساريره بالغبطة، وهو يحدث نفسه في تشفّ:

- وقع التيس ولا أحد سمّ عليه...

ثم اراد ناظريه بمن احتشدوا في صحن داره قائلاً في غضب مصنوع:

- الشرع يقرر رجمه... ولكنا نريد أن نجعل منه عبرة لغيره، والموت رحمة له، ونحن نريد أن نجعله يموت في كل يوم ألف مرة...

فقال أحدهم بصوت متردد واهن:

- الرجم عقاب لحدوث الفعل، ولكن الفعل لم يتم... إنه تغرير..

فرشقه المختار بنظرة ساحقة، ثم انتهره قائلاً:

- لا نريد فلسفات فارغة... سوف نجعل منه عبرة لكل من يعتبر..

ويا بنت قولي لأمك.. الصلت بن الصلخدم، الذي كان أمل الناس ورجاءهم، والذي كان الكل يتوسمون فيه الخير، قد طاش عقله في هوى أم عريط، ولقد بات بحاجة لمن يعيد إليه رشده... وانتشرت رياح السخط والغضب... واستيقظت النخوة والحمية في القلوب.. فقامت الدنيا ولم تقعد.. والمختار لا يتوقف عن دق النفير لشحذ الهمم.. وفي وَجَل، قال أحدهم:

- لم لا نأخذ أقوال الرجل، حتى لا يقال بأننا ظلمناه؟

فاستشاط المختار غيظاً، فصاح بصوت زعزع مفاصل الرجل:

- إيّاك أن يضرب لسانك عنقك...

فانكمش الرجل على نفسه في ذعر، ومضى المختار على رأس الحملة إلى دار الصلت بن الصلخدم، وما أن بلغوها حتى عاثوا فيها فساداً وتدميراً، ولم يغادروها إلا بعد أن باتت خراباً.. وبعد أن اطمأن المختار بنفسه على كل شيء، عاد بالحملة المظفرة ليحتفلوا بنصرهم العظيم، وقد حملوا معهم زوجة الصلت ليحفظوها من عبثه وطيشه وسفهه، لتكون معززة مكرمة في بيت المختار.. ولقد كان ذلك بناء على رغبتها الملحة - كما أدّعى المختار في بيانه للمحتفلين...

وأحس الصلت شيئاً يتمزق في أعماقه وهو جالس بين الخرائب والأطلال... فلقد بدا له كل شيء قابلاً للتصديق إلا ما فعلته زوجته به... أيمكن أن يكون «التيار» قد أعشى بصرها وبصيرتها؟ لماذا... تفعل كل ذلك به وقد كانت معه وشاهده الوحيد؟ ولكن ماذا كان يمكن أن تفعل لو لم تكن معه؟ وتيقظت حواسه على عطر نسائي زحم منخرية، فرفع رأساً مثقلاً بالحزن والهمّ والألم، ليجد ساحرته الصغيرة - كا اعتاد ان يسميها أيام الصبا والشباب - تقف أمامه وهي ترنو إليه في وجد يغلفه حزن عميق... وحار في تلك الرجفة التي أصابته فأربكته في تلك اللحظة... إلا أن شيئاً ما، كان كامناً في زاوية منسية من قلبه، قد تململ، فأصيب بنمنمة خدرت أوصاله، وأبقته ذاهلاً عن نفسه... ولكن السؤال الذي انتتر في رأسه ملأه قلقاً وجزعاً: ما الذي أتى بها بعد كل هذا البعد والفراق؟ أهي محاولة لإلصاق تهمة جديدة به؟

وقبل أن يصحو من وطأة السؤال الذي أربكه، قالت في عقاب يخفي وجداً:

- ما كان يجب أن أتي إليك وقد تجاهلت ما كان بيننا... ولكن ماذا أفعل وقد هجرك الأهل والأصحاب...؟

فقال في ارتياب:

- أرجو أن لا يكون ذلك تشفياً من غيظك...

- لقد فُطرت على التسامح والحب... وأنت تعلم ان الحب والحقد لا يلتقيان...

- ولكنك تتحدين أوامرهم...

- ليس لهم عليّ سلطان... والحب لا يعرف التردد أو الخوف، وإلا فقد معناه...

- ولكن هذا لا يعني أنك في مأمن منهم...

- أحقاً تخشى علي منهم؟

تساءلت في حنان انساب عبر عروقه إلى قلبه فهدهده، فتدفقت الكلمات من بين شفتيه لتبوح بمكنون قلبه... نعم.... لقد أحبها في صباه كما لم يحب شيئاً من قبل... أحبها بشغف وولع... وأحبته بكل جوارحها... وبنياً معاً آفاق المستقبل المشرق لبنة لبنة... ولكن كل ذلك في احتشام خالطه الحياء... ولكن ما أن ظهرت زوجته في حياته حتى استطاعت أن تدير رأسه بميسها ودلالها، وبتلك النظرة الشبقة التي تطل من عينيها اللوزيتين... فجرى خلفها مسلوب الإرادة... ما الذي يجبره على المكوث ساعات طوال يبادل ساحرته الصغيرة نظرات شاردة ساهمة حالمة، وهناك من تستطيع أن تمنحه القدرة على الفعل في جرأة؟ وبعد أن أحب في ساحرته الصغيرة وداعتها وبساطتها ورقتها وفطرتها، واحتشامها، استطاعت الأخرى أن "تخبله" بانطلاقها وتمردها وتهورها وغنجها وقدرتها على التلون والتلوي... فتزوجها غير آبه بما قد يصيب ساحرته الصغيرة من ألم وحسرة... وعندما استيقظ، كان الوقت قد فات... فلقد أدرك متأخراً معنى قولهم "لبس البوصة، تصبح عروسة"... وها هي ساحرته الصغيرة، تنتزعه من شرودة وهي تقول:

- لا شك أنك تعلم بأن كل ما حدث كان من

تدبير المختار...

ونظر إليها بعينيين قلقين مسهدتين متسائلاً:

- صحيح أن المختار قد قاد الحملة ضدي... ولكن...

فقاطعته قائلة بصوت لم يخل من تقريع:

- كأنك لا تعلم بأن أم عريط عشيقته؟!

- أمعقول هذا؟

- وماذا تقول عندما تعلم أن زوجتك أيضاً عشيقة له؟

فأنتهز في جزع يلفه الغضب وهو ينتهرها قائلاً:

- أمعقول أن يصل بك الحقد عليها إلى هذه الدرجة من الافتراء؟

وابتسمت في إشفاق وهي تقول في هدوء لم يكن يتوقعه منها:

- أنا لا أحقد عليها، لأن من يحب لا يمكن أن يحقد... ولكن يبدو أنك ما زلت غارقاً في هواها.. وفي هذه الحالة فقط، يمكن أن أعذرك إن أجهدت نفسك في البحث عن مبرر لما اقترفته في حقك وحق نفسها.. والمثل يقول «من يريد الطلاق، لا يفكر في السيقان»... ولكن ما دمت تفكر بها لن تقدم عذراً لها مهما اقترفت... ولكن ألا يثير في نفسك الشك، ذلك الموقف المستهجن منها؟ لماذا كذبتك وكذبت نفسها، وأقرت ببهتان المختار وإفكه؟ ألم تكن معك عندما حدث لك ما حدث مع أم عريط؟

ويبدو أنها قد أفلحت في إثارة الشك في قلبه نحوها، وإلا فانه لا يوجد معنى لاصغائه لها، ولهذا الصمت الذي غرق فيه... ولكن، أهذا ما جاءت من أجله؟

قفز السؤال إلى مقدمة رأسه، فشغل في البحث عن تحديد إجابة له، إلا أن استشعارها لما يدور في خلده، دفعها لأن تقول له الحقيقة كما خبرتها...

- إن المختار لم ينس يوماً أن جدّه كان راعياً للأغنام عند جدّك... وهو لا يفكر في المعاملة الطيبة التي كان يلقاها.. وإنّما يكاد يصاب بالجنون كلما سمع أحداً يقول: «ابن الراعي»... ولقد خلف ذلك في نفسه حقداً دفيناً، وإن خطر لك أن تتساءل: كيف علمت بهذا؟ فأنا أقول لك... لقد حاول المختار أن يستغلني لينال منك... وخلال تلك المحاولة، استطعت أن أعرف عنه الكثير... فالمختار، ذلك الرجل القوي المهاب، أضعف من طفل، وألين من عود الخيزران أمام المرأة، وخاصتة اذا ما استعصت عليه... ولكن اذا ما «اندبت» في هواه، فهو صقر... وأمام رغباته وأهوائه، فهو كالضبع، لا يفرق بين فريسة أو جيفة... ولكن ما لنا ولهذا... المهم أن ما استطعت أن أعرفه منه أن حقده عليكم يفوق كل تصور.. ولذا فقد عمل المستحيل حتى يظفر بكل ما خلفه جدّك... حتى الدار، فلقد أفلح بالحصول عليها بعد أن نجح في تفسيخ الروابط التي كانت تجمع أعمامك.. ولكنك شببت عن الطوق، وأستطعت أن تستعيد عزيمتك وعافيتك، فبدأت تشيد داراً أكبر من الدار القديمة التي ظفر بها... وهنا أحس الخطر الذي بات يتربص به، فبدأ يعمل في هدوء وروية، وخطط لكل كبيرة وصغيرة... ولم يفته أن زوجتك لا بد من أن تكون عوناً لك عليه، فأسرع يلتف من حولها كالأخطبوط حتى استطاع ان يميل رأسها، وأفلح فيما لم تفلح به أنت، فلقد أستطاع أن يسلب قلبها، وعندما تسلم المرأة قلبها، فأنها تصبح ملك يمين من استلم... وبعد ذلك، فانه لم يكن من الصعب عليه افتعال كل ما حدث... ولقد تم ذلك بخبث ودهاء، وفي غفلة من الغافلين والمتغافلين الذين لا يعبأون إلا بامتلاء بطونهم... واطعم الفم، تستحي العين.. وبطرفة عين، أصبح الصلت صفر اليدين...

وعندما صمتت بدت مجهدة... فتساءل في حذر!

- ما أدراني أنك لا تمثلين عليّ بقية اللعبة، خاصة أنك تعترفين بمحاولته ضمك إليه؟

- الشك مطلوب في بعض الأحيان... ولكن في حالة كهذا يمكن أن يكون مرضاً..

- ألست أنت من تحدث الآن عن مكائد ومؤمرات وأحقاد؟

وتنهدت في ضيق لم يخل من ضجر، وهي تقول بصوت حزين:

- كنت أظن أن ارتباطك بها نزوة...

- ولكنني غير نادم على التجربة رغم مرارة النهاية...

- ما زلت تكابر ولا تريد أن تعترف بالخطأ... ولكن فكر جيداً فيما قلته لك...

- ولكن...

هم بالسؤال وهي تهم بالمغادرة، فتعلقت قدمها بالهواء، فصمت... فرنت إليه بوجه يشيع فيه البشر والنور، فتعثرت الكلمات بين شفتيه... وبكل نوازع الحب في قلبها هتفت:

- ماذا تريد أن تعلم؟

فدارى ارتباكه قائلاً في لهوجة.

- بماذا تنصحين؟

- لقد قلت كل ما كان يثقل صدري، وبقي أن تفعل ما تراه مناسباً... فلست بحاجة لمن يفكر لك...

- إن فكرت بالعودة إلي، كوني حذرة منهم...

رنت إليه في هيام... وعندما طال صمتها قال:

- لقد اشتقت إلى أيام الصبا...

- بوسعك أن تعود إليها، ولكن بعد أن تطهر قلبك..

ثم تركته وحيداً دون أن يحير جواباً... وما أن غادرت، حتى أحس شيئاً من الكآبة تتسلل إلى نفسه، فلقد أدرك.. ربما بعد فوات الأوان... لماذا كان يحث زوجته على الأتزان والاحتشام. ولكنها لم تكن تعبأ بما يريد أو يطلب، لأنها كانت على ثقة من مدى تأثيرها عليه، وأسرها له... وكانت لا تهتم إلا بتحقيق رغباتها، التي غالباً ما

كانت تتعارض مع آماله وأحلامه، إلا انه كان يذعن لكل ما تريد، مما شجعها على التمادي في غيها...

وها قد مضى بضعة أيام على زيارة ساحرته الصغيرة له، شُغل خلالها بالتفكير فيها... فأدركه تصميم على تصويب وضعه، فاصطدم بالخوف الذي بات يسيطر على القلوب الوجلة المترددة التي أبقت على ودها له... فلقد كان خوفهم من المختار ومن بطشه، أعمق بكثير من عطفهم وخوفهم عليه.. فتسلل الخوف على ساحرته الصغيرة إلى قلبه... فمن يدري؟ فقد يفعل المختار بها ما لا يمكن أن يخطر على بال أحد، بعد أن أصبح الحاكم المتحكم الوحيد في القرية، واصبح كل ما يمكن أن يقوى على اجتراحه من إثم وإفك، حقائق ليست بحاجة إلى أية أدلة أو براهين...

وعندما جاءت أخيراً، تردد طويلاً قبل أن يعرض عليها مخاوفه، ولكنه فوجيء بها تقول في إيمان وثقة:

- الخيرة فيما يختاره الله...

فساد بينهما صمت طويل، أجرت خلاله العيون حواراً هَدهَد قلبيهما، فتساءل في وجد:

- أتقبلين بي زوجاً؟

فوجئت بالعرض، ولكن ترددها لم يدم طويلاً، فأجريا عقدة النكاح، وتساءلت بعد ذلك:

- ماذا قررت بشأن زوجتك الأولى؟

- كنت أتوقع هذا السؤال قبل أن نكتب كتابنا...

- لم أشأ أن أضع شروطاً...

- لو طلقتها الآن، لنالت غرضها... ولكنني أفكر في محاكمتها، لتنال عقابها...

- أنا لا أعترض... ولكنني ما زلت عند رأيي، فان من يحب لا يعرف الحقد أو الكراهية..

ولم يحر جواباً، فاحترمت صمته... إلا أن المفاجأة الكبرى كانت من نصيب المختار، الذي ما أن عَلم بأمر زواجهما حتى بات كالثور الهائج، فراح يهدد ويتوعد، لتبدأ حكاية جديدة.

٩٢/٦/٢٧

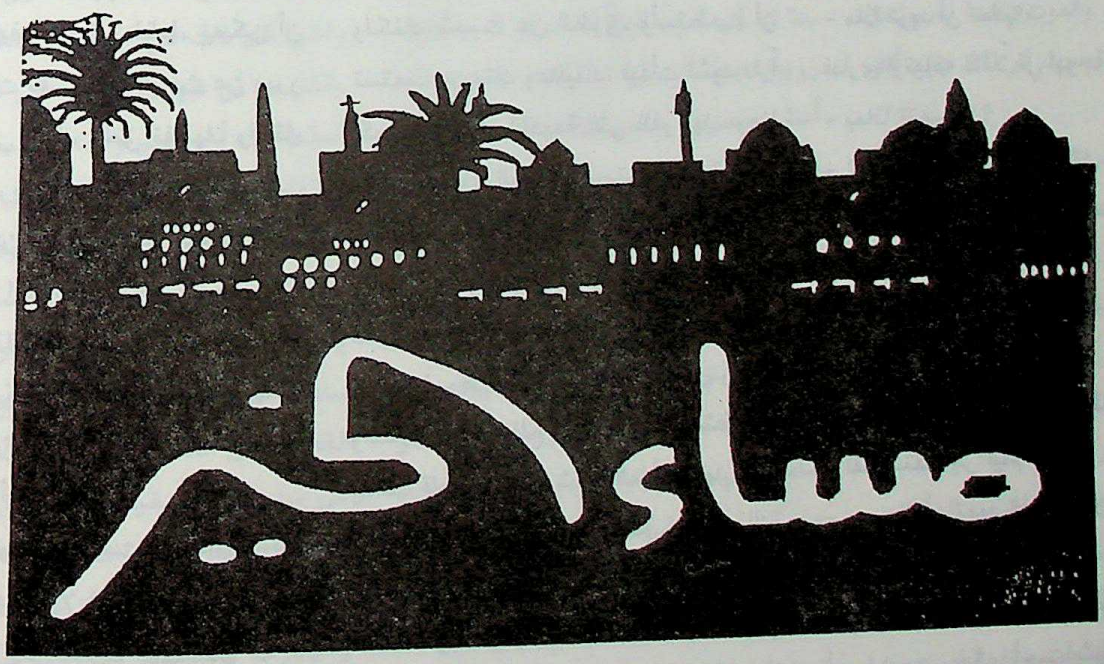

ترقبوا صدور صحيفة مساء الخير، صحيفة يومية تصدر قبل ظهر كل يوم.
ترقب "مساء الخير"
وكن واحداً من قرائها الدائمين "مساء الخير" ترحب بالجميع وهي للجميع أيضاً.

"جبـــل التجـــربـــة"*

فلورا اسطفان بقلة

مرة اخرى أجلس على شاطىء البحر الميت، امام الفندق، لوحدي هذه المرة، بدون اصدقاء او أحباء سوى بعض الكتب والمخطوطات القديمة والحديثة، أحاورها أحيانا، وأحيانا أحاول ان أعتبر بما ورد فيها. الاصدقاء والاحباء ذهبوا ..!! لا ادري الى اين؟ او لا أريد أن أدري، كل شيء ذهب!!.

كان المرض الغامض قد عاودني، واحتار العلماء والأطباء في تشخيصه ولما كنت أهذي بالبحر الميت في يقظتي ومنامي، في صحوي ولهوي، تبادل أطبائي النظر بانتصار وقرروا ارسالي الى هناك حتى تحل العقدة التي تمسك بخناقي .. جاءوا اليّ قبل أيام وقالوا لي:-

- ألا تعرف انه ممنوع التواجد هنا؟

نظرت اليهم بسخرية مريرة..

- "توجد معي تقارير طبية مرفقة بأنني أقضي فترة نقاهة .."

نظروا الى بعضهم البعض، ولربما رابهم منظري بشعري الذي استطال فربطته بشريط الى الخلف، وذقني التي أطلقتها، رطنوا بلغة الكتاب القديمة، جروني الى داخل الفندق وأجلسوني على مقعد ..!! وبعدها بدأت الهواتف بالرنين، وظهرت مربعات ومكعبات ومستطيلات على شاشة الحاسوب. وبعد مداولات ومجادلات مع الهواتف والحاسوب ومقارنة سجلي الامني وتقارير الاطباء، بدأوا يقتنعون انني اعاني من حالة جنون واحباط ..!! ولكن ذلك بنظرهم قد يشكل خطراً على أمن الدولة. ألم يحرق منهم مجنون منبر المسجد الاقصى؟ ألم يطلق منهم مجنون آخر الرصاص من رشاش على سبعة من العمال العرب العزّل؟! ألم .. وألم .. كل ذلك بالأضافة الى مظهري الذي يشبه النساك، جعلهم يأخذون العبر من الماضي، رغم ملفي البريء كصفحة قلب طفل!! وما المانع حسب رأيهم ان اعمل مثل مجانينهم؟! !

قرروا اخيراً ان لا مانع لهذا المهووس من قضاء بقية ايامه في غيبوبة حالمة على شاطىء البحر الميت بشرط ان يكون تحت المراقبة، المراقبة، المراقبة الطبية والامنية، المهم ان يتركوني وشأني طالما لا أزعج ..!! وهكذا ترونني أجلس وكأنني ملكت الدنيا!! أرقب مغيب الشمس وألهو بقذف الحجارة في الماء، وأرقب ما يحدث، وقد خفت الضوضاء من حولي!! ونزلاء الفندق من مختلف الجنسيات يلهون ويمرحون!! وقد انزويت بعيداً عنهم .. أحتضن بشدة كتاباً ذا طبعة انيقة بالألوان. الغلاف يحوي بين دفتيه السميكتين صور الازهار والبراعم والأغصان التي داستها وحشية الانسان المتحضر ..!! هذا كتاب الموتى العصري!! وليس كتاب الموتى لقدماء المصريين والفراعنة .. كتاب الموتى خاصتي الملون والذي يحوي بين صفحاته اسرارا غامضة وصوراً مدهشة لهو اثمن وأندر وأقيم من كتاب الموتى خاصة قدماء المصريين!! وأقدس منه كل كتاب له مقوماته وأسراره وعبره التي لا تبلى من الزمن. كانوا يحنطون موتاهم بمحلول النطرون والعطور وزيت خشب الارز والمر والقرفة بعد نزع القلب والكليتين والاحشاء، ويهيئونهم للبعث والعودة للحياة .. وكتابي يحنط موتاه بالتراب الممزوج بالدماء واعشاب الارض وازهارها العطرة وبالاعلام الملونة التي ترمز للخلود .. حتى يبعثوا من جديد. هؤلاء بنوا لهم الاهرامات الفخمة والمقابر .. وحفظوا لهم ادواتهم التي كانوا يستعملونها في حياتهم، وكتاب الموتى خاصتي لم يحصل موتاه الا على قبور متواضعة سوّيت بالارض الطيبة تحمل شواهد بسيطة لم تحفظ معهم سوى ثيابهم المثقوبة بالرصاص والممزوجة بدمائهم .. لم تقم لهم جنازات فخمة، بل ووروا التراب مع عدد قليل من الاهل المشيّعين وفي منتصف الليل ..!! وبتصريح ...!! بعد ان انتزعت من جثثهم القلوب والكلى والعيون ...!!

ما زلت ألقي بالحجارة في مياه البحر الميت ..!! وأرقب ما يحدث .. لقد تركوني وشأني .. واصبحت معروفاً بينهم .. يأتي المهووس الذي لا يشكل خطراً على أحد .. بتاتاً ..!! واعتبروا هوسي بالبحر الميت وبالمخطوطات، والكتب والمعلقات والمشنوقات نعمة سماوية من النعم التي ما تزال تهبط على سكان ارض الميعاد .. لا أدري كم بقيت جالساً أقذف بالحجارة ولا أدري اذا كانت ضوضاء المرفهين قد ذابت مع الغروب .. وبزغ القمر !! وانا اجلس

وحيداً مع أشباحي وكآبتي والحجارة التي القي بها الى الماء وقد عادت بي الذكرى لسنين مضت ..!! تذكرته!! وشعرت بالحاجة اليه. ولعل الحجارة التي القى بها في الماء نقرات مترددة تستنجد به أحسست بيد توضع على كتفي !! أكره الالتفات إلى الخلف !! دائماً أنظر للأمام إلى أبعد من أنفى .. ولكن اليد التي وضعت على كتفي .. يد حارة، حازمة .. استمررت باللامبالاة، حتى واجهني القادم ونظر في عيني. حجبنا ضوء القمر .. فظهر اطول مما هو معهود .. لعل الاشعة القمرية اعطته طولاً مضاعفاً ..

- "ألا تتذكرني ..؟".

- "انا لا انظر للخلف!".

ضحك ضحكته المعهودة، فزاد تقطيبي .. لم يتركني .. عاد ينشط ذاكرتي المغبرة ..

- "انظر الى ذراعك ..".

هنا قفزت وأمسكت به .. وقد حشرج صوتي وبدت أوتاره كعود صديء. كان الكل قد تركني ولم اتوقع ان يعود هو بالذات .. قال لي:-

- "ما بالك!! لكم تغيرت!! لقد حلقت ذقني وشعري!! واستطال ذقنك وشعرك..

لقد بدوت شابا وبدوت انت هرما امامي وكأن اثقال السنين ينوء بها كاهلك!؟"

جمعت صوتي وقلت له:-

- "اخفض صوتك !! سيسمعوننا!! لنمشي ونتحدث!!.

سار معي وقال:-

- "اتذكر لقاءنا الاخير ..؟! لقد كنت جد قلق ومرتبك!!.

وبعد جولتنا في المدن الملحية المغمورة بالبحر عدت رجلاً آخر كنت اتابع اخبارك باهتمام ...!".

ضحكت بمرارة وقلت له:-

"لقد اعطتني العلامة دفقاً قوياً فعدت انساناً آخر، وسرت في طريقي وقد أضاء كل شيء من حولي بنور المعرفة .. معرفة ما ينبغي عمله .. نفضنا الغبار والاتربة المتراكمة علينا .. يا الله ..!! كم كان الغبار والتراب يكتم على أنفاسنا .. واثناء الانتفاضة .. خرجت والزواحف من بين الانقاض .. وانقضوا علينا!! لم يعجبهم ان ننتفض ونزيل اتربة عالقة بنا وان نحاول البدء بشيء جديد يعيد لنا آدميتنا .. بدأنا كالعادة بداية ممتازة .. الكل اشترك حتى الاجنة في ارحام أمهاتهم كانوا ينتفضون ويدقون بأيديهم واقدامهم الصغيرة . وكالعادة ايضا..!! وهذه لعنة مكتوبة علينا كلعنة الفراعنة المشهورة، ظهر تجار نفض السجاد ..، وبدأت مقاولات وتعهدات وأخذ وكالات .. واثناء مسيرتنا .. سقط من سقط ودفن حيّا في زنازين ومعسكرات اعتقال من دفن، وأعيق من أعيق ... ولكن العلامة على ذراعي كانت تخزني كلما حاولت ان اتهاوى .. كانت تخزني بشكل شهيد جديد يسقط او قافلة حديثة من المعتقلين .. في بيوت تفجّر وتهدم، في ابعادات بالجملة .. آه .. يا ايكو ..!! لقد تخلى عني اصدقائي وأحبائي ..!! رحلوا كلهم .. طوعاً او كرهاً !! منهم من قضى!! منهم من اعتقل!! منهم من هاجر الى بلاد الحضارة السرابية ليبدأ حلماً جديداً ولم يتم حلمه الاول بعد!! ومنهم من اغلق على نفسه وتقوقع .. يقفز من كل طرقة باب ... ورغم الجائزة الكبرى .. اكليل الذهب المحلى باللؤلؤ، ورغم الاغراء الكبير ودموع ابنة الشيخ حرمون .. وانتظارها آلاف السنين .. التفت حولي .. لم أجد سوى أنا .. وهذه المخطوطات والمعلقات والمشنوقات×! قال لي العجائز والحكماء ..

- "هذه ارض الميعاد .." قلت لهم:-

- "لعلي مع حريتي .. أكون على ميعاد ..".

هزّوا رؤوسهم ..

- "يا بنيّ ..! الموازين قلبت، والمعايير اختلفت، ووضع نظام جديد للعالم .. لا تتعب نفسك، اتوكل ..!!

ولم اتوكل سوى على الله وعلى نفسي .. ولكن التواكل الذي يطلبونه مني كان اكثر مما أطيقه او احتمله .. قالوا لي:-

- "خذ لك وكالة من هذه الوكالات .."

نظرت اليهم شزرا .. انا والاغصان الصغيرة والبراعم المتفتحة .. نحن لا نأخذ وكالات .. نحن نعمل بأنفسنا .. باجتهادنا .. وكان ان جاءت جماعة اخرى أخذوا وكالتنا .. اي توكلوا فينا كما يأخذ الانسان وكالة لتجارة ما. لحظ صديقي ايكو الغريب القريب مرارة حديثي وهزّ راسه وقال ليغيّر الحديث ثم ليعود اليه:-

- "ما هذا الذي تقبض عليه بشدة كقبضة البخيل على كنزه؟".

- "كتاب الموتى!!".

- "هل استطعت الحصول عليه؟ كيف؟ وقد كلّ العلماء والباحثون والحفّارون دون العثور عليه؟!؟

- "هذا كتاب الموتى خاصتي .. أحدث نسخة في طباعة فخمة ملوّنة، نفذت منه آلاف النسخ .. يحوي بين صفحاته اسراراً غريبة تفوق اسرار الفراعنة وقدماء المصريين .. اشترك في وضعه وتأليفه شعب كامل في نخبة من أطفاله وشبانه .. كتبوه بالدماء .. انظر ... انظر .. هؤلاء احبائي الذين تسألني عنهم .. أين ذهبوا ..؟ أرشدني ماذا أعمل؟".

سار ايكو بجانبي ... بدوت قربه هرما وبدا هو شابا .. قال لي:-

- "يا صديقي لن أتركك .. لاني أؤمن بعدالة قضيتكم ..!! لقد طلبت اجازة مفتوحة .. دعوت الله من اعماق البحر ومن وحشة المدن الميتة .. قلت:- "يا الهي .. انهم يتعذبون فوق .. وصديقي يقاسي ..!! انه مؤمن برسالة وقضية عادلة ..!! فلماذا تبقينني هنا في مدن النسك الميته .. أحرس أشباحا ...؟".

لقد ارسلتني مرة الى سيدنا ابراهيم لأبشره بمولد اسحق، وأرسلتني الى لوط لأحذره من الغضب الآتي ..!! وأرسلتني الى زكريا لأبشره بمولد يوحنا، وأرسلتني الى النبي المصطفى ليبلغ رسالة للعالمين .. أطلقني هذه المرة لأمدّ يد المساعدة بعون منك .. لعل .. وعسى ..!! ابتسم جل جلاله وكلنا نعرف انه الرحمن الرحيم ونحن اولاده وخلقه وقال:- انطلق وافعل ما تراه مناسباً حسب الظروف .." وهكذا انطلقت ..!! وقد أزلت ظواهر تنسكي وحلقت شعري وذقني لأبدو عصريا فوجدتك كالماضي الغابر الذي تركته خلفي.

كنت اهز راسي الى الجانبين وأقول:-

"ماذا أعمل يا ايكو ماذا أعمل؟! لقد دخل السوس، ويهوذا الاسخريوطي يبيعنا كل يوم بشواقل من الفضة حسب سلة العملات..".

سار ايكو بجانبي بين الصخور والحجارة .. وقال لي:-

- "ما رأيك ان تأخذني جولة في عالمك هذا..!!".

- "ولكن عليّ ان أثبت وجودي، ان عيون المها الالكترونية ترصد حركاتي حتى لا أقوم بعمل يائس .. "لا عليك!! فقط أخبرني أين تريد ان تذهب!!".

- "الى جبل التجربة!!".

هذا ما طرأ على فكري فجأة .. جبل التجربة او قرنطل .. وفجأة وجدت نفسي محلقا في الجو مع ايكو الذي تكور وأصبح كالصحن الطائر - سمعت هبوب الريح في أذني وبدا البحر كبقعة زيت على ثوب اخضر!! قلت لا يكو ..!!.

- "هل تعلم ان العباس بن فرناس يمت لي بصلة قرابة عن طريق امي؟ وفجأة انطلقت في اعقابنا طائرات حربية حديثة .. وأرعدت السماء بالطلقات .. بينما استنفرت الجيوش الحدودية .. وأخذت وقفة تأهب .. حيوانات الغاب في هجومها .. ودعي مجلس الامن للانعقاد في جلسة عاجلة .. طارئة .. لبحث عدوان على دولة مسالمة وفكت عقدة مذيعي الأذاعة والتلفزيون .. الكل يركض ويخبط ويصطدم بالآخر .. بينما ارتجفت أجهزة الرادار الراصدة وبحلقت عيون الكشافات الجاحظة .. صفقت بيدي وقلت لايكو ..:-

- "انهم في أعقابنا ..!!.

وفي هدوء الليل المعكر بصوت الطلقات والطائرات، سمعنا أصوات المذيعين الهستيرية .. وهم لم ينسوا بعد صدمة الهجوم ابّان حرب الخليج .. - "مشاهدة جسم غريب ..!! صحن طائر ..!! هجوم جويّ لم يعرف مصدره بعد ..!! صاروخ غريب يخترق المجال الجوي لدولة مسالمة متجها الى الشمال الغربي .. ينصح جميع السكان بالدخول الى الغرف المحكمة الاغلاق ...؟! ووضع الاقنعة حتى ورود تعليمات اخرى .." لا بد انهم استنفروا في العاصمة .. وفي عواصم العالم قاموا ولم يقعدوا .. المهم أمن الدولة والنظام العالمي الجديد ..!! صاح ايكو مرحا:- "ولا يهمّك، سنلهو قليلا ..!!".

هبطنا بسلام امام ساحة الخارجية لجبل التجربة .. وفوقنا في اعلى الجبل، الكشافات تمسح مساحات واسعة بأضوائها وصرخات هستيرية ملقية أوامر عاجلة ..، تقدمنا بهدوء وقرعنا باب الدير .. انا بمنظري الهرم وشعري الطويل المربوط الى الخلف بشريط .. وايكو بشبابه ومرحه .. لم يردّ احد .. !! عاودنا القرع بشدة .. وبعد قليل فتحت طاقة صغيرة في الباب الحديدي الكبير .. وظهر وجه شاب لراهب يوناني، ذهلت عند رؤيته .. عجزت عن الكلام!! كان بوجهه الابيض الشاحب وشعره الاشقر الطويل لكتفه وعينيه الزرقاوين الحالمتين، كأنه أيقونة لأحد قديسي العهد البيزنطي .. ومما زاد ذلك الشبه، برواز الطاقة الصغيرة الحديدي ... لكزني ايكو منبها ثم قال الراهب:-

- "نحن حجاج يا أخا الأغريق!! سنقضي الليلة هنا بالصلاة لنوفي نذرا ... نحن نمر بتجربة رهيبة..".

قال بلكنة الاغريقية:-

- "الوقت متأخر!! لا يوجد زيارة الان ..".

- "نريد ان نوفي النذر .. !! نحن نمر بتجربة رهيبة يا أبتاه، والاّ سنبقى طوال الليل نقرع الباب حتى تدخلنا..".

ولما رأى شدة اصرارنا، رفع المزاليج وفتح بابا يتّسع لمرور شخص بمفرده ثم أغلقه باحكام .. وقادنا عبر دهاليز وممرات صخرية رطبة، مضاءة بالشموع والقناديل الزيتية ومزّينة بايقونات بيزنطية، الى ساحة الكنيسة الصغيرة. جثوت على الارض والصقت جبهتي بالصخرة حيث التجربة الشهيرة وقعت .. ثم بدأت بالصلاة مع ايكو .. وفجأة عاد الراهب مهرولا نحونا برعب وهو يقول:-

- "أتسمعون؟! أتسمعون الطرقات على الباب؟! من انتم بحق الله؟ ان الجنود يهاجمون الدير .. لقد وضعتموني في مأزق ..".

قلت له مع ايكو:-

- "لا عليك يا أخا الاغريق!! افتح الباب وأدخلهم .. ما نحن سوى مصلّين نوفي نذرا.".

- "يعني ليس ...؟!".

- "يعني كل واحد أطلق ذقنه وشعره .." يعني ليس .. "هل انت يعني ليس ..؟".

عاد الراهب وفي اعقابه فرقة كاملة من الجنود الراجله والمحمولة والزاحفة والمتوجسة واصوات "المخاشير" المخنثة أحالت هدوء الليل الى ما يشبه منحلة .. انقضوا علينا ولكن نظرة من ايكو اعادتهم للخلف ... قال بهدوء:-

- "من تطلبون؟!".

- "من انتم؟".

- "جئنا نوفي نذرا على جبل التجربة".

- "في هذا الوقت".

- "ولماذا لا؟! ان الصلاة لا تعرف وقتا .. كل شيء حسب الايمان!!".

- "ألم تشاهدوا او تروا شيئا غريباً؟".

- "مثل ماذا؟".

- "صحن طائر مثلا ..!! صاروخ غريب .. طائرة بدون طيّار او بطيار...".

- "لم نشاهد سوى النجوم وقناديل الدير..!!".

قال أحدهم بعصبية:-

- "أتسخرون منا!! هل معكم تصريح؟!".

- "وهل العبادة والصلاة يلزمها تصريح؟!".

قال آخر للعصبي:- "تمهل!! هذه دولة متحضرة .. يوجد ديمقراطية هنا .. لا نريد ان يعلم احد أننا اقتحمنا الدير وأزعجنا المصلين!! خصوصاً حلفاؤنا المتمدنون .. لا نريد فضائح بوسائل الاعلام ..!!".

أشار العصبي علينا فسحبونا أنا وايكو والراهب الذي ازداد شحوبا، وصعدوا بنا الى فوق ... الى اعلى الجبل .، ما أجمل الليل ..!! وما أجمل المناظر ..!! أريحا .. وكل ما حولها من البحر الى النهر ... والقدس .. القدس الحبيبة، بكنائسها ومآذنها المضاءة .. يغلفها الضباب في منظر شاعريّ مبهج .. بينما الكشافات والرادارات ما زالت تدور وتمشط السماء والارض، وبين الفنية والاخرى تسقط اضواءها على وجوهنا وأشخاصنا فتعطي لنا أطوالا وأبعاداً سيريالية .. لا مقعولة ... والمروحيّات تعبث باثارة الغبار في عيون الجنود وقادتهم الذين يتداولون بعصبية .. تقدم احدهم ويبدو كبيرهم وتحدث معنا بلطف وأدب مفتعل ...:-

- "انظروا ... أنظروا ... هذه البلاد وكل ما فيها من البحر الى النهر .. من الشمال الى الجنوب .. هي لنا - أرض الميعاد!! التي تفيض لبنا وعسلاً .. تينا وزيتوناً .. كلها لنا .. ومن يكون معنا!! يشاركنا بهذه النعم الخلابة، فيعيش سعيداً ... مرفها .. كل شيء متوفر له ..: العلاج والدواء والعمل والمال .. وأهم شيء .. السكن ... كل يوم يقوم تقام مستوطنات جديدة .. ونهدي شققاً فاخرة مع نساء جميلات .. وأي شيء يشتهيه القلب ولم تره عين ..!! بشرط ان يكون معنا ..!! ويرشدنا الى ما نحن نبحث عنه .. هناك أسرار لم يكتشفها مثلاً حكماؤنا على مرّ العصور .. رغم أننا أنفقنا أموالاً طائلة وأفسدنا أناساً كثيرين ... ومشينا كل الطرق الشرعية واللاشرعية لمعرفتها ولم نعرفها حتى الان .. ما هو سر ذلك الشعب الذي يأبى ان يموت .. او يموت مرة ويحيا مرات ..؟! وما هي الطريقة المثلى للقضاء عليه قضاء لا قيامة له بعدها..؟! وما هي أنجح طريقة لوقف نفض الغبار والأتربة المتراكمة على أنفاسه ... ؟ من يرشدنا الى ذلك سيحصل على هذه الممالك الشاسعة ويحكم العالم معنا..!!.

رغماً عني وصدّقوني .. لا أسخر .. انطلقت ضحكة عالية مني .. تردد صداها في هذا الليل القلق ... ووجدت نفسي أدور وأرقص رقصة الحرب البدائية حول الكبير المذهول وأصيح ...:-

- "أبعد عني يا شيطان ..!! ابعد عني يا شيطان ..!!".

تقدم احدهم وقال للكبير المذهول ...:-

- "انه معتوه .. ألا ترى؟! لنجرّب مع الاخر..!!".

تقدموا نحو الراهب الشاحب ...:-

- "نحن نستطيع القبض عليك واعادتك الى بلدك معززاً .. مكرّما .. بلا عودة، اذا لم تخبرنا من هؤلاء .. وماذا يعملون عندك في هذه الساعة والدنيا مقلوبة .. اذا أخبرتنا .. سنصرّح لكم ببناء أديرة كثيرة ونشجّع السياحة الى الاماكن الدينية والأثرية والا .. والا فسنلقي بك من اعلى الجبل الى اسفل .. قضاء وقدرا ..!!".

تقدم الراهب للأمام .. سقط قلبي ... ضغط ايكو على يدي .. قال الراهب بهدوء وهو يواجه نظرات رئيسهم المتحدية كما واجه السيد المسيح الشيطان، ثم قال لهم:-

- "للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد ..!! ابعد عني يا شيطان ..!!".

- "مرحى .. مرحى .. ما زال في الدنيا خير .. ورجال ...".

استدار كبيرهم بغضب الى ايكو وتقدم نحوه ...

- "وانت ...!! أنت أيّها المتشرد، لقد طفح الكيل .. لماذا لا تتعاون معنا ..؟ لقد عرضت على هذين المعتوهين ان يكونا معنا، فأبيا .. وانت ..؟، سنجعلك ملكاً او رئيساً لجمهورية .. كما تشاء .. سنملأ خزائنك بالمال والرجال .. وتحكم باسمنا في اي مكان تختاره .. انظر .. مثلاً صاحب مصر .. لقد تحالف مع اصدقائنا .. وصديق أصدقائنا صديق لنا .. ووقع سلفه معاهدة سلام معنا ..!! انظر الى أمراء البترول وأصحاب العباءات .. لقد وضعوا كنوزهم تحت أقدام أصحابنا وأقدام اصحابنا هي أقدامنا ... نحن نريد السلام والعيش بهدوء .. لماذا لا تساعدنا ..؟!! لا اريد ان اطيل الحديث .. فقط انظر حولك في كل انحاء العالم .. كل من يتعاون معنا ويكون صديقنا، نؤمن له الاستقرار، ومن لا يكون معنا، نزعزع استقراره ... فكر بالامر..".

- "كيف اساعدكم وانتم لا تساعدون انفسكم ..؟!.

- "لا تعد للسخرية ..!!".

- "انا لا اسخر .. تريدون مساعدتي ..؟ أساعدكم بشرط ..".

تفتّح وجه كبيرهم وبدا انه انتصر ..، بينما هوى قلبي ..!!؟

عاد ايكو يقول ...:-

- "اساعدكم، بشرط ان ..." أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله ..لله .. وعيادة المظلومين ..".

- "بدا وجه الكبير محرجاً وثار غضبه ..".

- "أتعاود السخرية منا ..؟".

- "حاشا ان اسخر .. طلبتم مساعدتي، فأشرت عليكم .. وخير الكلام ما قلّ ودل ..".

- "نحن نريد السلام .."

- "السلام؟ وكيف؟! كيف تكتب هذه الكلمة .. السلام .. "Peace" "بيس" أو "بيس Piece" .. اذا كانت "بيس" وتعنوا بها أراضٍ أو احتلال جديد، فالله بيني وبينكم .. اما اذا "بيس" بمعنى سلام .. فأكرر وأقول :- "أعطوا ما لقيصر، لقيصر، وما لله .. لله وعبادة المظلومين ..".

نفذ صبر الضابط الكبير وبدا انه سيرتكب حماقة .. غمز لي ايكو .. وبسرعة كنا نحلق في الفضاء .. وبيننا الراهب .. تلاحقنا رشاشات سريعة الطلقات، وتطاردنا صواريخ حديثة ومروحيات، ووجّه انذار آخر شديد اللهجة للجارات الحدوديات - وقامت طائرات حربية بقصف الجنوب والمخيمات - واثناء تحليقنا سقطت عباءة ايكو فوق كبيرهم .. وصلنا للفندق ثم جلسنا نحتسي شاياً بالنعنع، بينما طلبنا للراهب عصير البرتقال الطازج .. طبعاً عيون المها الالكترونية ما زالت ترصد تحركاتي داخل غرفتي .. ايكو .. طبيبي يجري لي فحوصات نفسية واختبارات ذكاء .. والراهب يتلو الصلوات ويستمع الى اعترافاتي .. اذن، لا خطر على الامن .. التلفزيون في نشرة اخبارية عاجلة مع الاذاعات المبرمجة في بث متواصل لمدة اربع وعشرين ساعة، يحاولون حل هذا اللغز .. لغز الصحن الطائر او الصاروخ الغريب، او الطائرة بدون طيار .. كل هذا حديث الساعة في الليل والنهار ... تصوروا .. تخيلوا .. بعضهم قال ان النبي ايليا ظهر مرة اخرى ..واختطفته مركبة نارية للسماء وان عباءته سقطت على الضابط الكبير، اشارة برضى الله على شعبه .. وانه نظراً لتقوى الاخ بالرب، المحترم الراهب في دير جبل التجربة، اختاره النبي ايليا ليشيّعه الى السماء .. هذه الانباء نقلاً عن السلف الصالح، مراسل سي ان ان عن مراسل بي بي سي على ذمة التلفزيون المحلي والاذاعة والصحف الناطقة بالثلاث .. وعن المشاهدين الكرام الذين لم يعملوا بارشادات الدفاع المدني، فأسعفهم الحظ بمشاهدة الحادث..

قرع ايكو قدح الشاي بالنعنع بقدحي وقال:-

- "بصحتك!!".

- "بصحتك!!".

- "كيف الوضع؟".

- "يدعو للتفاؤل ..".

تفقدت كتاب الموتى وبدأت أقلّب بصفحاته.. ( ) سبعة عشر عاماً سقط على ارض الوطن بتاريخ شهر ٨٧//١٢ ( ) عشرون عاماً سقط على ارض الوطن سنة ٨٨ ( ) خمسة عشر عاماً سقطت على ارض الوطن ( ) ستة عشر عاماً ( ) ستة عشر عاماً سقطا على ارض الوطن بتاريخ ٨٩/٧/١٠ (٧ عمال عرب) - من عشرين عاماً الى ثلاثين، سقطوا على ارض الوطن في ٩٠/٥/٢١ (شهداء الاقصى) - من خمسة عشر عاماً الى ثلاثين عاماً سقطوا على ارض الوطن وفي اقدس بقعة فيه بتاريخ ٩٠/١٠/٨.

مجلد ضخم .. يحوي بين صفحاته أزهار ربيعية .. نظرت الى ايكو .. يوجد بعد فراغات كثيرة لازهار كثيرة .. قال ايكو ...:-

- "ان الثمن باهظ .. ولكن يجب ان نستمر .. لولا هذه الدماء، لما نبت العشب والزهر .. لولا هذه الدماء، لما نمت اشجار الزيتون .. لولا هذه الدماء، لما تفتح الاقحوان الاحمر والزعتر والمريميّة .. لولا موت حبة الحنطة، لما نمت السنابل .. لولا هذه الدماء لما ازهرت اغصان اللوز والمشمش ...

- "كفى يا ايكو .. كفى ... !!.

- "كن شجاعاً كما عهدتك على الجبل ...!!".

مدّ ايكو يده ورسم دوائر حول رؤوس الشهداء في كتاب الموتى، ولدهشتي ... بدأت قطرات صغيرة تتجمع وتتخذ شكلاً لؤلؤيا حول رقائق من الذهب فوق رأس كل شهيد .. همس ايكو باعجاب وابتهاج ..:- "هذا لؤلؤ أصلي، غير مزروع .. أنقى انواع اللؤلؤ واثمنها .. هذه دموع الامهات الثاكلات والحبيبات المفجوعات بآمالهن ... هذا عرق الكفاح يتجمع ليكون لؤلؤاً يزين هامات الصور التي تشهد ببطولة وتضحية اصحابها .. غير قابل للتقليد، حتى من قبل أمهر الشركات اليابانية .. غير قابل لاختراق اشعة لايزر وكل التكنولوجيا العصرية لتزويره وتحويله الى دعاية امريكية ..

- "لنستمر يا ايكو .. لنستمر .. لن نقف رغم العوائق .. ورغم التضحيات .. ورغم امتلاء المعتقلات وابعاد المبعدين ..".

- شيء آخر يا صديقي .. هؤلاء اصحابك، أتعرف اين هم؟ انهم في الاعماق يجاهدون لتحرير اكليل الذهب المحلى باللؤلؤ لنعيده الى ابنة الشيخ حرمون ...

واستمرّينا .. ما زلنا الى الان في طريقنا .. طريق مليء بالاشواك .. طريق ضيّق .. ولكننا مستمرون .. أتعلمون لماذا لا انظر الى الخلف؟ لا انظر للوراء؟.

... خمنوا حتى لا اتحوّل لعمود ملح .. او حتى لا اجعل الماضي حاجزاً دون المستقبل .. او حتى لا ارى من يسيرون خلفي في مسيرة الحرية، يتساقطون، فأبقى لوحدي .. حتى اشعر انهم معي وخلفي .. نسير ونسير .. ونسير نحو الهدف ...

* المشنوقات: الكتب والمقالات التي تمنع من النشر بأمر الرقابة العسكرية

* اقرأ هذه القصة مرة ثانية بعد نشر القصة التي قبلها في العدد القادم.

جراح النهر

هالة البدري

ليس غريباً ما أشعر به وأنا أراه يقلب السم في الفنجان أمامي، أعرف نفسي قادرة على مواجهة أي موقف. متى اكتسبت ذلك؟ لا يهم!!

«تسمرت حدقتاها على يده وهى تحرك المزيج، هربت آهة مكتومة من بين ضلوعها، عادت تغرق في ذاتها».

المهم الآن النتيجة التى وصلت اليها ... ما هو نوع السم المستخدم ؟ ألوان العبوة زاهية مثل دهانات الشعر، رغم أن علامة الجمجمة والعظمتين تجثم عليها، أشعر أن الفك الخالي من الحياة يرتعش، يستهزىء بى .. والطبيب. انه لا يشبه العسكر في شىء، مطمئن، وكأنه يجهز دواء لشفاء مريض، وليس لقتله .. لقد أدانونى وهأنذا أنفذ رغبتهم في موتى ... يعجبنى الهدوء الذى تسير عليه الاجراءات. ترى عندما يقترب مني هل تنتابنى أحاسيس أخرى ؟ اننى لا أمتلك غير القوة التى أواجههم بها الآن. لقد صدر الحكم، ووافق عليه الجميع، بل انهم ارتاحوا للتخلص منى .. اعرف أن الألم يحفر أتفاقاً في صدور أهلى، ولكنهم استسلموا للأمر الواقع. وهذه المرضة أنها تشبه كل السيدات اللاتي أقابلهن في السوق، أو على افريز محطة المترو، بل هي أشبه بعاملات المدارس: بدينة، تتحرك على مهل، لوجهها ملامح محددة أشك في معرفتى لمعناها. هل هي باسمة أم لا مبالية ؟ أم هي خليط من الرضا واليأس وقبول الأمر الواقع:

«وتابعت نطراتها الممرضة وهي تقترب من الرجل الراقد بجوارها».

وجهه يبدو مألوفاً، ينام في وداعة وسكون طفل، ألم أره من قبل ؟ ولماذا تجمعنى معه ساعة الرحيل؟ هل مات ؟ لماذا تضع يدها تحت أذنه وتقلبه هكذا انتهى كل شىء اذن .. لكننى لم أشاهدهم يعطونه السم. لماذا أبقوه في الحجرة معى ؟ ألم يكن من الواجب أن يضعونى في مكان منفرد ؟ أم أنه لا فرق في هذه الحالة بين كونى امرأة وكونه رجلاً !! غطاء أبيض قذر هو آخر ما قدموه لك أيها التعس. لماذا أعدمت ؟ أبسبب جريمة قتل أم انك مثلى ؟ من أعطاهم الحق ؟ قوة الجماعة ؟ ولماذا يتفقون في أحوال كهذه، وهم لا يتفقون أبداً !! أيها الطبيب انه مهمتك. اريد ان أعرف الآلام التي سأكابدها. سأنتصر عليكم برحيلى، فهناك حيث لا أحد منا يدرى ما سيقابل، ان كان فناء مطلقاً أو حياة لها شكل آخر، سأكون قد تخلصت منكم ومن كل ما كافحت من أجله ؟ ومن عدم فهمكم لأي شىء .. لماذا تروعه ابتسامتى، ويهتز الماعون في يديه .. رغم اعتياده على تنفيذ الأحكام ..

«تنهدت. أرادت أن تستدير لتتابع حركته، لكنها عادت للاستسلام لأفكارها».

أعتقد أنه لا يشعر بأحاسيس العطف أو الشفقة. هو في الغالب يؤمن بأننى أستحق ذلك. لماذا يضطرب، لم أكلمه منذ جئت. لا شىء سوى نظرة الثبات التى أقابله بها، وابتسامة لن يستطيع تفسير معناها لأنها تحمل حياتى كلها بين ضلوعها، وهو لا يعرف كيف كانت حياتى. هو فحسب يرى الأوراق وتوقيعات التصديق على الحكم ..

- اخلعى ملابسك . سنضع هذا «الكبسول» لك، وسيسرى في بساطة. لن تشعرى بشىء.

جميل ما أحسه من قوة، ما زلت قادرة على المواجهة. مسكين أيها التفى. هل تحتاج منى أن أطمئنك ؟

- أنت ؟ أنت ؟ هل أنت ؟!

× تريد أن تعرف ان كنت مذنبة أم لا؟!

- نعم !!

× هل تخشى أن أكون بريئة ؟ ضع الكبسول أولاً ثم أجيبك.

«اقتربت الممرضة. أوقفتها النظرة الحازمة الهادئة والأصابع الثابتة التى تخلع القميص .. امتدت يده الباردة المرتعشة تضع السم، وانصرف يغسل كفيه ..».

الآن يسرى .. سيحتاج دقائق. لن أموت. أحببت الحياة، أحببتها حقاً، ابنى الصغير فحسب هو الذى سيعانى، أما ابنتى فقد اكتسبت من أفكارى ما يعينها على فهم

الموقف بأكمله بل على المواجهة أيضاً .. لكن ابنى .. سوف أعيش !!

«أمسك الطبيب بمعصمها ليقيس النبض. شاهدت هروب الحياة من وجهه» سأقول لك: أنا برئية. لم أفعل ما يشين. لماذا لم أمت ؟ هل يستغرق الأمر كل هذا الوقت ؟ لا أشعر بتغيير في جسمى. هل تبدأ الآلام بعد فترة أم أن المادة الفتاكة خادعة ؟ .. لن أموت. أقول لك لن أموت. لماذا تحدق بى هكذا ؟.

«من هذه السيدة ؟ لماذا كل هذا التحدى ؟ لماذا لم تتوسل كى أتركها تحيا ؟ ان كانت برئية حقاً، فهل تقاوم ؟ بعض القبائل البدائية آمنت أن البرىء لا يقتل والصادق لا تلسع النار لسانه، اعتقد غيرى هذا، فلماذا لا أعتقده ؟! أنت طبيب ؟..!!

× أعلم أن تنفيذ حكم الاعدام لا يتم الا مرة واحدة.

- نعم.

× هل تخرجنى من هنا اذا بقيت حية؟

- نعم.

× هل تقبل تسريحى من زنزانتى دون أن يدرى أحد ؟

«تأملها. ازدادت حيرته وهو يتابع مقاومة جسدها الراقد أمامه».

- كيف ستواجهين المجتمع بلا أوراق؟

× لا أريد اعترافاً أو تأييداً .. أنا قادرة على الحياة دونهم، ستقبلنى بلادى كما أنا .. حتى أطفالي من الأفضل لهم موتى حتى لا يطاردهم أحد، انهم يخفون عنهم وسيلة القتل وسيبقى الأمر سراً بالنسبة لهم، لكن خروجي سيعرفهم الأمر برمته، سأتركهم للطبيعة، وسوف أتدخل في وقت الحاجة هم الألم الباقى لى.

«تهدلت عضلات وجهه، ارتعشت تحت وقع كلماتها، استمرت في حديثها» ان كانت المدة قد انتهت، فدعنى أخرج مع الجثث.

× النهر يقطع المدينة يحملنا في كبرياء، يداى القويتان تشدان الحبال وكأننى أعتلى عربة خيل في فيلم لرعاة البقر. هل أصبحت رومانسية الى هذا الحد، رغم أن الجبال تنغرس في شراييني. حانت لحظة الميلاد. ما أجمل الأشرعة التى ترفرف.

ترى ماذا يقول أبنائي اذا علموا أننى على قيد الحياة. هل أعلن: أيها الناس لقد حكمتم بموتى. وها أنا أقدم لكم الخير؟!.

سأصبح قصة على لسانهم لبعض الوقت، ثم يغلفوننى بشرنقة النسيان، لن أحتل من حياتهم أكثر من كلمات خلف القلب. أقسم لن يكون ما بيننا كلام لن يكون كلام !!.

فوق جياد النهر هذه، ومن السفينة الشراعية التى يدفعها الريح سأزرع مالاً يستطيعون تجاهله، ليشاهدونى أينما ولوا وجوههم.

- أكثر فأكثر أيها الجنود .. ظهرت الخضرة أوشكنا على الوصول. لمحت أولادها يلعبون في حقل بجوار النهر، بصحبة جدهم .. لماذا خرجتم يا أولادى الى العراء ؟ هل تتعرفون على أمكم ؟.

«رفع الصبى وجهه ناحية الأشرعة البيضاء الراقصة».

- أنظر يا جدى السفينة تحمل الرئيسة.

«انشقت المياه التى تجرحها ألواح الخشب وخرج تمثال مهيب لسيدة، اصطفت تحت قدميه تماثيل صغيرة صامتة. فزعت الطيور. سأل الصبى وهو ينبه أخته لترى الوجه الجامد الملامح:

- ألا يشبه هذا التمثال أمى؟!

أجاب الجد:

- لقد ماتت أمك من زمن !!

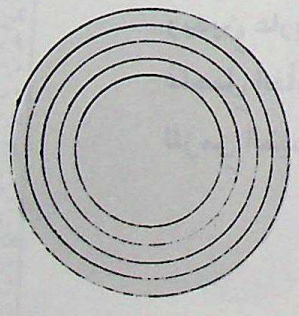

ست قصائد

غادة شافعي - عمّا

الرؤى

كُلّما تَوغلتَ في العمقِ أكثرَ
سوفَ ترى عالما آخرا
غارقاً في بحارك

كُلّما تماديتَ في الغوصِ أبعدَ مِن شظاياك
سَترى في انعكاسِ المرايا التي انطَمرت في حطامِك
اضطرابَ رؤاك على صفحةٍ من زجاج دَمِك
وَترى
انقسامَ خطاكَ على شفرةٍ من خلايا دَمك
وَترى عالماً يتكسّرُ
أو يَتبعثرُ
فيك.

اغتراب

أرضُ روحِكَ مَنفى
وَيداكَ اغتراب.
قُل لروحكَ أن تَتحوّلَ موجة
تكسح بَحرَ هذا الغياب
أو تنكَسِر عندَ أولِ صَخرة.

حصار

تَمدّ يَديك الى آخرِ السهم فلا تمسِكُ حتى بخيطِ الاوائل
وَيطبِقُ هذا الفضاءُ عليكَ سماءَ النوافذ
فَتبقى وَحيداً في رُقعةِ الانتظار
تَعدّ الدقائِق وَهي تعبرُ خارطةَ الوقتِ مثلَ قطارٍ
بَطيء الخطى، وتبقى وحيداً في مُرّبعِ ذاكَ الحصار
تمدّ يديك فلا تلمسُ الا كَتِفِ الجدار
ولا تمسكُ الا حديدَ السّلاسِل.

قبرٌ للزمنِ الميّت

زَمنٌ من القشِ ينمو على هُدبِكَ الحَجريّ
زمنٌ ليسَ لكَ في قاعاتهِ الضَيّقة
مَقعدُ الا للغياب
ليسَ لكَ في غاياتهِ الموحشة
شجرٌ الا للكآبه.
زَمنٌ كالرصاصةِ ينمو في مَفاصلِ آلامِكَ النازفه
زّمنٌ لملوكِ الهَشاشة
ليسَ تملكُ فيه غيرَ فَأسٍ قديم
وَيدينِ عاريتينِ مِن صَخر
فاحملِ الفأسَ واحفر
للزمنِ المّيتِ قَبر.

لُغةُ الجَمر

في أشرعةِ الأفقِ الغارقِ خَلفَ زُقاق
ثِمةُ صوت يغزو حنجرةَ التاريخ
ثمةُ أنّه تَجرحُ خاصِرةَ السكين.

أتكون الكلمة فأساً يحفرُ في صخرِ العتمةِ
ثَغراً لخيوطِ الفَجر؟
أَيكونُ الشِعرُ طَريقاً نحوَ الزمنِ الآخر
نحوَ الجهةِ الاخرى من وجهِ الكون؟

لِلطائرِ أَن يَنسجَ مِن ريشِ الشّجرِ المتساقِطِ
أَجنحةً لِفضاء يَهوي
للغابةِ أَن تتفَتّح بينَ شُقوقِ الجحر المطفأ
وَرداً أَحمر
وللكلماتِ المشحونةِ ببريقِ السّرِ
أَن تَتدفقَ نَهراً يجري في لُغَةِ السفرِ
الدائم نحوَ الاعمق
أَن تَتوتّر مثل سهامٍ مَحمومه تَجهلُ أَن تَهدأ.

جُنون

لِلشاعرِ أَن يولدَ من عنقِ الوردةِ قنبلةً
او أَن ينهضَ من اشلاءِ الغابةِ بذرة.
للشاعر ان يحيا مُغترباً في أَرضٍ اخرى
أَن يُقتَلَ مُنغَمِساً في وِحدَتِهِ
في زوايةٍ مُوحِشةٍ أخرى.
له ان يحترقَ بنارِ الكلمة
جمرة جمرة
لَهُ ان يتمزق ورقة ورقة
بينَ غصونِ رؤاهُ القَلِقَه
لَهُ ان يغزو افقَ الريح بأغنيةٍ
ويهزّ الكونَ تكغَصنٍ
وَيُجَنّ اذ يُبصِرَ أَحلامه
تتساقَطُ في قاعِ الحفرة
وَيشهرُ في وَجهِ الكونِ جُنونَهُ
عاصِفَةً
أَوْ طَلقَة.

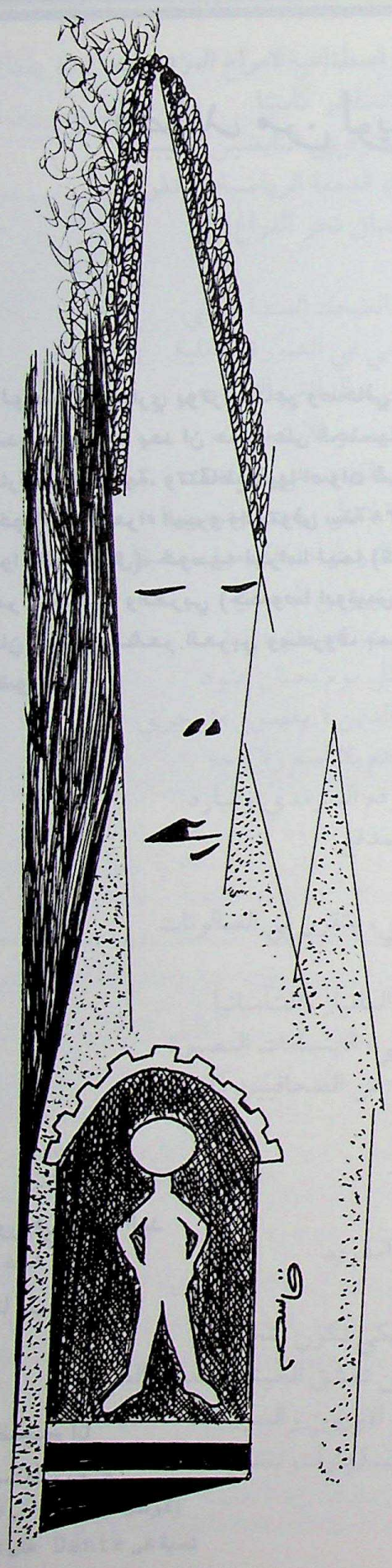

قصائد من لويس كاليغاري بوتري

ترجمة وتقديم: حسان بورقية

لويس كاليغاري بوتري شاعر وصحافي من البيرو ولد في ليما ٦ اذار (مارس) عام ١٩٥٥، يقيم حاليا في مدينة مدريد بعد ان حصل على الجنسية الاسبانية. قصائد ديوانه "تضاريس جسد" تجمع بين بعدي المفارقة والصوفية، وتتقاطع فيها اصوات شعراء عالميين تعتبر قصائده محاورات لشعرهم، امثال سيزار فاليخو (اكبر شعراء البيرو والمتوفى سنة ١٩٣٨ في باريس)، سيزار مورو، شاعر البيرو السريالي، فرناندو بيسوا (البرتغال)، خوسيه ليزاما ليما (كوبا)، لويس سرنودا (اسبانيا)، تجربة شعر الهايكو الياباني، الشعر الصيني، والعربي (خصوصا ادونيس، درويش، البياتي، جلال الدين الرومي والشعر الصوفي ..) له افتتان كبير بالشعر العربي ومعروف بمساندته للقضايا العربية، ترجمت هذه النصوص باتفاق معه وبحضوره.

(١)

جبل من نار
شفتاك
انا احترق

(٢)

الخريف جفن
على وشك
الانغلاق

(٣)

لان احسن العيون في راحة اليد
قلت لي
شاهدنا جسدينا بلمسات.

(٤)

I- في مملكة الضجيج انا
كل شيء هنا يسقط ويغزي
للضجيج فكان
والضجيج يأكلنا

يمزقنا بمضغه
الصاخب.
II- انسان على وشك ان
يمزق بصخب
وببساطة يضحك
وهو يضج

(الجزيرة الخضراء - ٢٨ آب «اغسطس» ٩١/ مقهى المحطة)

(٥)

لم ينبس بكلمة ابدا
كان كما لو انه نال
من الحياة
جوابه الابدي

(مدريد (مدريد ١٩ آذار «مارس» ١٩٩٢)

(٦)

طفل ينظر
الطفل الذي ينظر
كئيب
ايمكن لاحد
ان يقنعه
بأن يكون سعيدا؟

(الصو (الصويرة ١ أيلول «سبتمبر» ١٩٩٢)

(٧)

"الشيطان متفائل عندما يفكر ان بامكانه ان
يصير الناس
اقبح مما هو عليه" كارل كراوس.
الان، نابغ انا وأطيب
لاننا عندما سنموت جميعا
سنشرع في الحياة
ميت انا كالعالم
ولن اقول ان العالم طيب
واقل نبوغا
رغم كفنه الاثيري
وحداثة دفنه
زهور اصطناعية لامراح المزهريات
حيث تتناظر كآبتنا
كآبة المتوارين النابضين الطيبين
وكادت الدمعة الرياضية ان تفوز
في السباق نحو الفراغ.

يخفي الضحك الصدأ الفكي
للسياسي في الصورة العائلية
القذائفي والدانتي المتحضر
لاشيء يدعو للانشغال
القنابل القيت على اهداف
ملموسة لاجل موت تليفزيونية
واكثر الموت حداثة يعرف مسبقا
من يعانق ومن لا يعانق
رغم ان عناقه يغلق دائما
اناس كل يوم بحنان عنود
اولئك الذين لا يفهمون ما يجري
الذين هم بلا اسم ولا وجه
عدا الرقم السرمدي والبارد
للحم المدقع.

كل شيء يتقرر في الصالونات
المهمة
صحبة الكافيار، الشامبانيا
الفرنسي، الابتسامات المصبرة
وعديد من الصحافيين كأصداء
حادة
للموت.

(مدريد (مدريد ٤ شباط «فبراير» ١٩٩٣)

لا يهم لكي تكون متحضرا
عليك ان تعشق الحيتان، الدببة الصينية
طبقات الاوزون والسريغات
ولو انك، لجارك، تنتزع الاحشاء

(كولمينار (كولمينار يخو، ١١ آب «اغسطس» ١٩٩٣)

نسبة الى Dante على الطريقة الدانتية.

ايمان الطوخي والرياح الشرقية....!

ايمان الطوخي

الفنانة ايمان الطوخي الذي يدور في مناخات الحرب ستعود الى الشاشة الصغيرة العالمية الثانية وتأثيرها على قريبا ، حيث تستعد حاليا الريف المصري. ايمان الطوخي لتصوير دورها في المسلسل ابتعدت عن التلفزيون منذ ان التلفزيوني «وتهب الرياح شرقا»، ادت دورها في «رأفت الهجان».

لغز

اثناء الحرب العالمية الثانية، ارسل اسير فرنسي لدى الالمان رسالة لامه يقول لها: هناك مبلغ من المال مدفون في مكان ما من حقلنا، لكنني اخشى ان اقول لك اين هو بالضبط، اذ اتوقع ان يقرأ الرقيب الالماني رسالتي، لذلك ساضع لك شعرة من رأسي في الرسالة، فاذا ارسلت الرسالة وفيها الشعرة، فمعني ذلك ان الرقيب لم يفتح الرسالة، عندها سأرسل لك في رسالة ثانية شرحا يظهر موقع المال.

وقد أرسلت له رسالة تقول فيها انها وجدت الشعرة في الرسالة، ومع ذلك لم يرسل الابن رسالة اخرى لأمه، لماذا؟

اضخم اعلان في العالم

انجز ١٥٠٠ من اطفال وشباب هونغ كونغ رسم وصنع اضخم اعلان من نوعه في العالم

وتبلغ مساحة هذا الاعلان الذي يتكون من ٢٦٠٤٠ قطعة ورقية ملونة تبلغ ٢١٩٣٦ مترا مربعا تساوي مساحة ستة ملاعب لكرة القدم.

ويذكر ان الهدف من صنع هذا الاعلان هو التأكيد على اهمية مفهوم العائلة وتوعية الاحداث والشباب وتشجيعهم على احترام الاباء والمعلمين والمسنين.

ومن الجدير بالذكر ان اليابانيين كانوا قد انجزوا اعلانا ضخما مساحته ٢٠ الف متر مربع.

لغتنا الجميلة

* نقول: الجِصُ والجَص (بفتح الجيم وكسرها)، ولا نقول الجبس او الجبسين.
* نقول: سُترة، ولا نقول: جاكيت.
* نقول: جَوسَق، ولا نقول: كُشك.
* نقول: الجَولان (بفتح الجيم وتسكين الواو)، ولا نقول الجولان بضم الجيم.
* نقول: الجواهر، ولا نقول: المجوهرات.
* نقول: اكل الحنظل، ولا نقول: شرب الحنظل.
* نقول: الاخطار، ولا نقول: المخاطر.

اسماء ومعان

هديل: صوت الحمام.

علاء: الرفعة والشرف.

رائدة: شجرة صغيرة طيبة الرائحة.

فراس: الاسد كثير الافتراس.

منال: عطاء.

شنبو في المصيدة ..!

ان صاحب اطول شارب في العالم هو بول ميللر، عمره ٥٩ عاما ويعمل سائق شاحنة، اما شاربه فيبلغ طوله مترين ونصف المتر موزعا على جانبي شفتيه!

يقول ميللر: «انا البطل، انني فخور بشاربي الذي امضيت اكثر من ١٧ سنة في رعايته. لقد اصبح صديقي الذي لا احتمل الافتراق عنه لحظة واحدة!». منذ خمس سنوات مضت وقع حادث خطير كاد يحرمه من احد طرفي شاربه. فقد اغلق جرار البنطلون على الشارب! وعبثا حاول ان يخلص شاربه من هذا الشرك! وعندما فشل تماما في محاولاته، لم يجد امامه الا ان يمزق البنطلون ويقتلع الجرار وينقذ شاربه من هذا الخطر الذي يتهدده.

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي تعرض فيها ميللر لضياع شاربه المشهور الذي اقتحم به موسوعة«جينيس» للارقام القياسية. فقد اغلق درج مكتبه عليه في مناسبة اخرى، كما انحشر اكثر من مرة في زجاج نافذة اللوري الذي يقوده، ولكن بول استطاع ان يتجنب وقوع مثل هذه الحوادث الان عندما بدأ برفع طرفي شاربه بواسطة «البنسة» التي تستخدمها السيدات في تصفيف شعورهن، الى جانب كريم تثبيت الشعر! وهكذا عاد الهدوء والاطمئنان الى قلب صاحب اكبر واشهر شارب في العالم

للرجال فقط، احذروا....!

افاد بحث طبي اجراه البروفيسور الاسرائيلي بنيامين بارطوف، ان عمل الرجال في التعدين وملامستهم اليومية للمعادن تضعف قدرتهم على الاخصاب. وقد تسبب لهم العقم التام بسبب انبعاث سموم من تلك المواد لها قدرة القضاء على الحيوانات المنوية او شلها.

وقال بروفيسور بارطوف في محاضرة له في القدس، ان العمل في درجة حرارة مرتفعة قد يؤدي الى النتائج المضرة نفسها.

واكد معلومة قديمة مفادها ان ارتداء سراويل "الجينز" الضيقة من شانه ايضا ان يعيق قدرة الرجل على الاخصاب. هذا وشاع ان العمل على الكمبيوترات عدة ساعات في اليوم له تأثير سلبي ايضا على الاخصاب.

ويذكر ان العالم المذكور هو رئيس معهد معالجة امراض الاخصاب عند الرجال التابع لقسم الاحياء في جامعة بار ايلان.

طرائف

- بعد ان تشاجر الزوجان وقبل ان ينام ترك الزوج ورقة مكتوب عليها: أيقظيني في السادسة صباحا..

استيقظ الزوج في اليوم التالي وتطلع الى الساعة فكانت العاشرة فاشتعل غيظا وكاد ينفجر، لكنه ابصر ورقة، فقرأ فيها: استيقظ الساعة السادسة الان.

- قال رجل اعمال لسكرتيرته الحسناء: أين قلمي.. لقد أضعته

اجابته: انه فوق اذنك ياسيدي.. فقال لها لا تضيعي وقتي.. وقولي بسرعة على اي اذن موجود؟.

اطول شعر امرأة في العالم

سجلت الامريكية ديان ويت رقما قياسيا لم يسبق لأحد ان سجله، حيث بلغ طول شعرها ٣ امتار و ٨٦سم، وبذلك سجلت اسمها في موسوعة جينيز العالمية للارقام القياسية.

وقد رفضت ديان الاجابة على سؤال: كيف تتعامل مع شعرها، وكيف تنام، وقالت سوف اترككم تتخيلون، واضافت : كل ما استطيع ان اقوله هو انها عملية شاقة للغاية، تتطلب مني وقتا طويلا، ومجهودا مضاعفا.

اقوال

- عندما يكون الناس متفقين معي، اشعر بأنني مخطىء

اوسكار وايلد

- كثير من الزيجات بائسة وتعيسة، لان الزوج كان يتناول العشاء مع زوجته بدلا من سكرتيرته!

ونستون تشرشل

- لسانه يدور باستمرار في حلقه، بحيث ان الصدى ينبغي ان ينتظر موته ليردد اخر اقواله

كونغريف

- أصعب الامور ان يعرف الانسان نفسه، واسهلها ان يعظ غيره!

ارسطو

- احفظ قلبك في الصلاة، واحفظ نظرك في بيوت الناس، واحفظ لسانك في مجلس الناس، واحفظ بطنك في حلقومك، واذكر اثنين، وانس اثنين: اذكر الله والموت، وانس احسانك ومن اساء اليك.

من وصايا لقمان الحكيم لابنه

- ينبغي الا تقام التماثيل الا للانذال، فالشرفاء يحترزون منها!

كليمنصو

- الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يخجل، لانه الوحيد الذي يعمل الاشياء التي تثير الخجل.

غوتيه

- كل ما اقوله امتلكه، وكل ما افعله يمتلكني.

شورتز

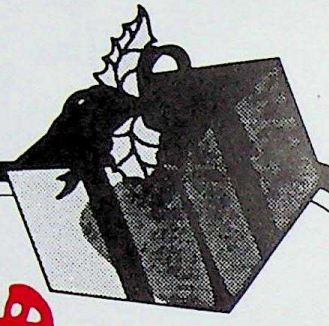

هدية مجانا

لكل تأمين من نوع فريق ثالث

تحصل عليها فوراً

من

شركة المؤسسة العربية للتأمين
المساهمة المحدودة

وجدت لخدمتكم

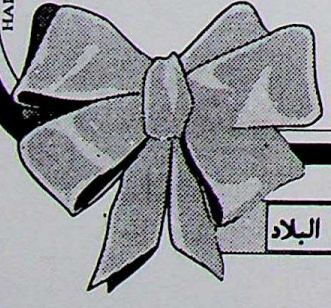

العرض قائم في مكاتب الشركة ووكلائها المعتمدين في جميع انحاء البلاد

HADISOFT 09-371372

جامعة بيرزيت

من سلڤانا

From Silvana

شركة معامل سلڤانا للشوكولاتة والحلويات المحدودة
رام الله - المنطقة الصناعية - ص.ب ٢٤٩ ت ٩٥٦٤٥٨